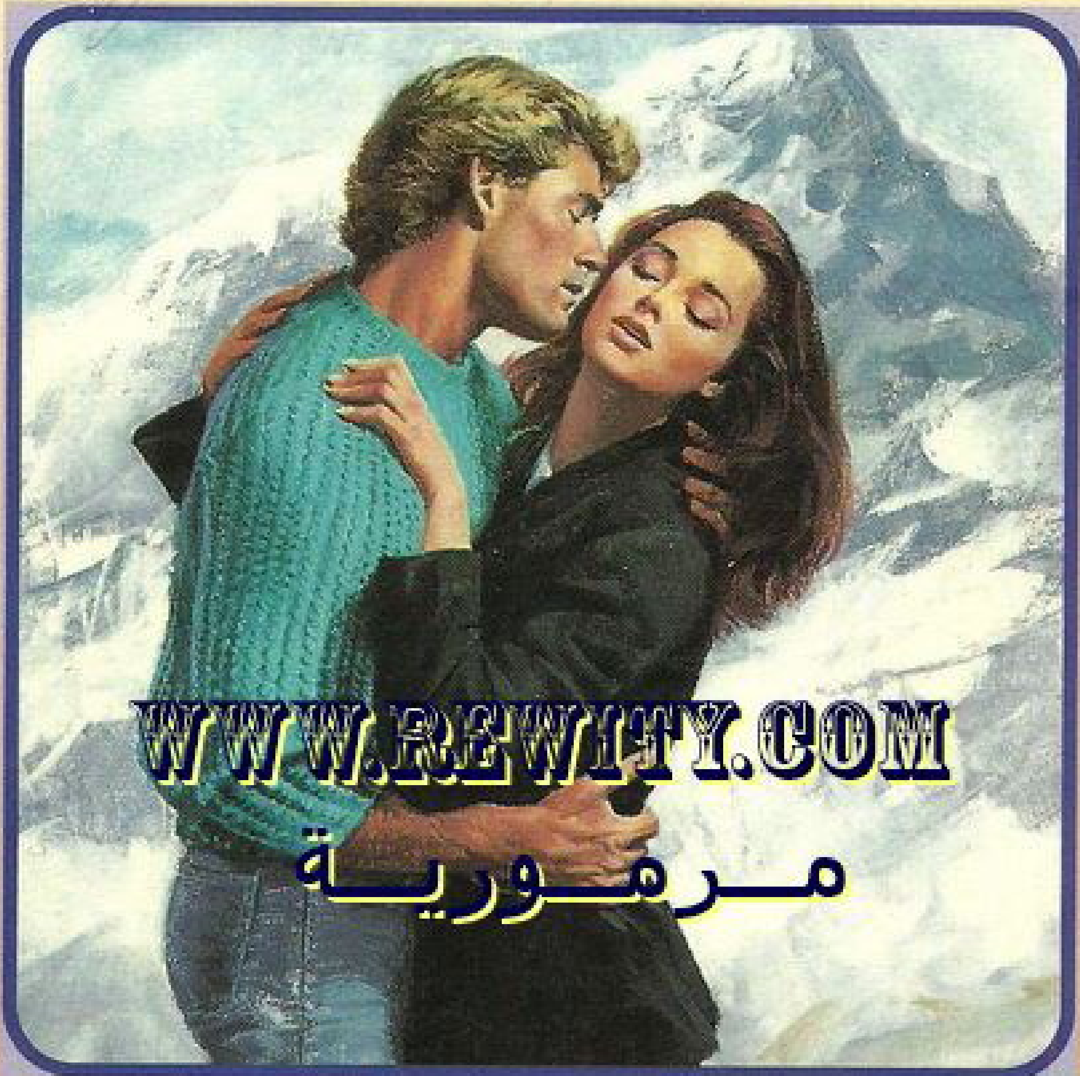
روايات
ALHAN
ألحان

الرجل الذي حطم أحلامي

١٤٥



ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ف	مصر	٣ ج	5$	CanadA
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	١٠ د	1.5	U.K
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د	15F.F	France
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د	1200Drs.	Greece
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر	1.5 P.	CYPRUS

أحست "كاتي" بالضيق فترة وكأنها اخترقت منطقة "الدخول فيها ممنوع". قالت لها "ميليسا":

- هانا قد انتهيت !

نظرت إلى إكليلها في رضا ثم استأنفت الحديث:

- إنني أتعجل رؤية الإكليل فوق المدفأة . وستحكمين بنفسك عليه في أمسية الحفلة ، لأنك ستأتين .

- لو حضر "بول" . - سيحضر "بول" حتى لو اضطررت لإرسال سيارة إسعاف لإحضاره .

- في هذه الحالة سأحضر.. آه.. هناك شيء آخر .

- ماذا ؟

- ماذا أرتدي ؟

- كوني على حريتك التامة ومعظم السهرات العائلية نكون فيها على راحتنا.

وجدت "كاتي" صعوبة في أن تكتم ابتسامتها.

الغلاف الأمامي

تستاجر "كاتي" - وهي شابة متخصصة في التزيين والديكور - حانوتا في قرية سياحية قديمة، وكانت حالة الحوانيت في تلك القرية يسودها الكساد مما اضطرها إلى الاقتصاد في كل شيء حتى ماكلها لتتمكن من مقاومة الإفلاس. يزيد الأمر سوءا أن القرية اشترتها شركة استثمارات عقارية وارادت أن تحدثها وتعيد تجديد مبانيها جلبا لمزيد من العملاء. ويقرر رئيس الشركة رفع إيجارات المحال بزيادة قدرها خمسمائة دولار. كانت "كاتي" متجهة إلى حانوتها في الصباح وهي راكبة دراجتها وتنظر إلى السماء أملا في أن ترى سحابة تبشر بسقوط الثلج في عيد "الكريسماس". لم تنتبه عندما اصطدمت بشيء يشبه الجدار وطارت في الهواء لتسقط داخل سيارة فارهة على ركبتي صاحبها رجل الأعمال وتتحطم دراجتها. تقوم علاقة قوية بين صاحبة الحانوت ورجل الأعمال الذي تكتشف فيما بعد انه رئيس مجلس إدارة شركة الاستثمارات العقارية.

تقع أحداث مثيرة خلال الرواية ستستمتع بها.

شخصيات الرواية

"كاتي برودريك": إخصائية ديكور وصاحبة حانوت لأدوات التزيين والديكور في قرية سياحية.

"بول جارث": رئيس مجلس إدارة شركة استثمارات عقارية اشترت القرية السياحية لتحديثها.

"ميليسا بيرمان": امراة أرستقراطية كانت صديقة لزوجة "بول جارث" التي توفيت.

"جيمس ستيل" : صاحب شركات استثمار عقارات ضخمة وصديق "بول جارث".

"آن بوش": سكرتيرة "بول جارث".

"روبرت": السائق الخاص لـ"بول جارث".

الفصل الأول

من المؤكد أن الجو كان أجمل مما هو معتاد في هذا الموسم. ركبت "كاتي" دراجتها وفكرت أن درجة ٢٥° مئوية في بداية شهر ديسمبر هي درجة مرتفعة أكثر من اللازم.. كانت قد سمعت في الراديو في الصباح أن "دلاس" ستتمتع بجو أكثر إشراقا في الأيام القادمة. كانت معجزة حقا أن يأتي عيد "الكريسماس" بلا غيوم.

دخلت الشارع المؤدي إلى القرية. وقالت الشابة في نفسها: "إن عليها أن تغير حالتها المزاجية". كانت قد وصلت إلى الشاطئ الشرقي منذ أقل من سنة وكان عليها أن تتعلم الحياة في "تكساس" بلا غيوم. لم يكن الأمر صعبا فملايين البشر يفعلون ذلك.

تساءلت "كاتي" ببساطة: كيف يستطيعون المقاومة؟ كان الجوع يعض معدتها ويذكرها أنها خرجت دون أن تتناول إفطارها. عادة كانت تأكل شريحة من الخبز المحمص ولكن هذا الصباح نجحت في حرق ما تبقى

لديها من خبز. وكان من عاداتها أن تشعر دائما ببعض الجوع. ثم قبل ذلك كان الجوع هو أقل مشاكلها وهواجسها.

كانت الفيلات التي مرت عليها قد علقت عليها أكاليل من أغصان شجر الأرز المربوطة بأشرطة عريضة حمراء. وأحيانا كانت ترى خلال إحدى النوافذ المفتوحة شجرة عيد الميلاد، تتوج الصالون الفاخر. لقد ساد بين الناس روح العيد بالفعل. تمنت لو أن روح العيد هذه دفعت ببعض الزبائن للدخول في حانوتها! إن "كاتي" لا تحصل على أية أرباح وبدأ تفاؤلها الطبيعي يتسرب منها.

كانت "كاتي" قد قررت أن تعمل بجدية ومشقة وأن تضحي بكل شيء في سبيل أن ينجح حانوتها. كانت تعرف تماما أن النجاح في البداية أمر صعب. والإحصاءات الموجودة تذكرها تماما بحالات الفشل العديدة التي اجتاحت المشروعات الجديدة.

خلال الأشهر الستة الماضية كانت قد أظهرت موهبة بارزة في الابتكار حتى تستطيع أن تنجح في نزع ورقة "بدولار"! لم يعد أمامها وقت لمزيد من التعرف بالأشخاص. وكانت وحدتها تثقل عليها. لقد ظل أصدقاؤها وعائلتها وبيتها بعيدين عنها هناك في "كانا نيكيت". وقد اشتاقت إليهم بدرجة رهيبة. والآن تندم على أيام الضباب هناك.

منذ أن عاشت في "دلاس" تعلقت بالمكان والذي سرها كثيرا. ولكن في هذه الفترة من العام كان لابد من وجود السحب لأنه الشتاء.

رفعت الشابة رأسها للسماء أملا في أن ترى سحابة ضخمة لتحقق آمالها. في نفس اللحظة اصطدمت دراجتها بجدار برز وسط الليل وسط الطريق. بينما كانت "كاتي" تطير في الهواء. فكرت في غرابة وجود هذا العائق. اصطدم جبينها بشيء صلب وتكومت الشابة بين ذراعين قويتين.

سمعت صوتا دافئا يسألها:

– هل جرحت؟

– لا.

فتحت "كاتي" عينيها بصعوبة وما رأته قطع أنفاسها. فقد رأت الفخامة التامة: جلدا أشقر وتليفونا وتليفزيونا وكأنها "أليس" في بلاد العجائب. فكرت أن سقطتها عزلتها عن الاتصال بالواقع. ولكن "أليس" سقطت في مرعى أرانب بينما سقطت "كاتي" وسط سيارة فارهة على ركبتي أجمل رجل وقعت عليه عيناها.

كانت مذهولة إلى درجة أنها لم تعرف إن كان العطر غير العادي يفوح من ذلك الرجل أم من جلد مقاعد السيارة. ولكنه على أية حال أدار رأسها.

عندما أدركت أن الفتى المليح يتأملها وقد بدا عليه الانشغال. سألته:

– ما الذي حدث؟

– أخشى أن تكون الغلطة غلطتي. لقد فتحت باب السيارة نحو الرصيف دون أن أتأكد من عدم قدوم أحد وبالتالي سقطت داخل السيارة.

كانت مسحورة بعينيه الزرقاوين واعتبرت هذه الشعيرات البيضاء مثيرة بشكل غير عادي. علقت:

– لقد كنت أتأمل السماء! إنها غير مغطاة بالسحاب.

وافقها بصوت متسامح يستعمله المرء مع هؤلاء الذين يعتقد أنهم ليسوا بكامل قواهم العقلية:

– لا. في الحقيقة لا يوجد سحب.

لم تشعر "كاتي" بالقلق وهي تسأل نفسها: هل فقدت عقلها؟ إنها لم تبذل أي جهد لتخرج من وضعها الغريب على ركبتي الرجل، بل بالعكس أحست بالراحة والاسترخاء. كان فضولها شديدا. إن هذا الرجل هو أول رجل من أثرياء "تكساس" اقتربت منه منذ وصولها إلى

"دلاس". لقد سمعت الشابة عن هؤلاء الأشخاص ذوي الثروات الطائلة ورأتهم على شاشة التليفزيون، ولكنها لم تقابل واحدا منهم أبدا. وهذا واقع الأمر الذي لا تستطيع أن تنكره.

– هل أصبت؟

أخذ الرجل يبحث عن جروح لديها. كانت يداه قويتين وماهرتين ورقيقتين بدرجة لا تصدق. شردت من ملمس يديه فتأخرت في الإجابة. ثم قالت:

– لا.

فجأة صاح في حالة يأس:

– ولكنك تنزفين

وضعت يدها على جبينها ثم سحبتها مليئة بالدم.

– لابد أنني اصطدمت بحافة الباب. لقد اعتقدت أنني اصطدمت بجدار.

– لقد ركن "روبرت" السيارة في الصف الثاني.

عدل من وضعه حتى تستطيع يده أن تصل إلى جيبه، واقترب من الجرح الدامي وفي يده منديل جديد على طرفه استطاعت أن تلمح حرفي "ب. ج".

قال:

– إن القطع ليس عميقا على ما يبدو.

كانت "كاتي" مقتنعة بما يقوله ولكنها وجدت سعادة في عنايته الفائقة بها حتى إنها لم تعتن بأن تقول له: ألا يشغل باله. سألته:

– من أنت؟

– "بول جارث".

إن هذا الاسم لا يعني بالنسبة لها شيئا ولكن لن تخسر شيئا بالسؤال. قالت:

- هذا غريب! ليس في كلامك أي أثر للكنة "التكساسية".

زاد تعبير العينين الزرقاوين عمقا. وأعلن:

- أعتقد أنه من الأفضل أن نكون أكثر حرصا. إنني أظن أنه يجب العرض على الطبيب الذي سيأمر بإجراء أشعة. إن جروح الرأس يجب ألا نعتبرها شيئا بسيطا.

لم تفهم "كاتي" سوى كلمة واحدة. الطبيب وكان هذا كافيا لأن يصفو ذهنها في الحال ويعيدها إلى أرض الواقع. الذهاب إلى طبيب معناه إنفاق نقود لا تملك منها شيئا. بذلت جهدا كي تنهض ولكنّ يديه أمسكتا بها، بمنتهى الرقة ومنعتاها من الحركة.

- لا تتحركي. ربما كانت إصابتك أبلغ مما تظنين.

- لا على الإطلاق.. إنني أحس أنني على ما يرام.

ومع ذلك أحست بتثاقل لم تعرف هل تعزوه إلى الإصابة أم للذراعين الملتفتين حولها؟

كان يقود السيارة رجل ناضج يرتدي حلة منتقاة خاصة رسمية للسائق لدى العائلات المحترمة. مال نحوهما وقال:

- هل يمكن أن أقدم أي خدمة يا سيد "جارث"؟

- نعم يا "روبرت". هيا بنا ننقل الآنسة.

نظر إلى الشابة متسائلا:

- ما اسمك؟

- "كاتي برودريك".

استكمل حديثه للسائق:

- الآنسة "برودريك". إلى المستشفى.

وهذه الكلمة أيضا تهدد ميزانيتها. نجحت "كاتي" هذه المرة في الإفلات من بين ذراعيه ولكنها في استعجالها اصطدمت بـ"روبرت".

إنها على الأقل واقفة على قدميها وتتنفس رائحة غير رائحة "بول

جارث". كانت تحاول أن تقنع نفسها أنها بخير وأوشكت أن تحقق ذلك إلى أن اكتشفت دراجتها المسكينة محطمة وغير صالحة للاستعمال وأحست فعلا بأنه سيغشى عليها حتى إنها اضطرت للاستناد على السيارة الطويلة.

كانت الدراجة هي وسيلتها الوحيدة للانتقال والأتوبيسات لا تصل حتى الحانوت. ماذا تصنع؟

خرج "بول" من السيارة بدوره وشاهد الكارثة. فهز رأسه قبل أن يقول:

- لا تحزني. سأعمل على استبدالها.

- شكرا ولكن لا تشغل بالك.

استطاعت "كاتي" أن تكون إجابتها حاسمة رغم ضعفها. ليس من اللائق أن تقبل دراجة جديدة مكان القديمة المحطمة. زفرت وقالت:

- كان من الواجب علي أن أنتبه. ودراجتي لا تساوي الكثير فقد اشتريتها في الأوكازيون.

أحست بأنها غير قادرة أن تشرح له الوقت الذي أنفقته في إعادة الدراجة لحالة تصلح للاستعمال بعد شرائها. كانت قد أصلحت الهيكل وشحمت العجلتين والجنزير ثم أعادت طلاءها بالكامل. أما قيمتها المعنوية فلا تقدر بمال. أدارت "كاتي" رأسها وألحت وهي تبتسم ابتسامة شجاعة:

- لا بأس.

اقترب منها "بول جارث" ولفحتها موجة من عطره المميز في وجهها. كان مرتديا "بذلة رمادية مفصلة" وتتميز بالذوق الرفيع. ولكنها كانت تعرف تماما أن الزي لا يصنع الرجل. كانت نظرته الحاسمة وجسده الرياضي يخصان رجلا له إرادة من فولاذ وسلطة لا ينازعه فيها أحد. وجدته "كاتي" جذابا للغاية. ولسوء الحظ أن لقاءها به نتج عنه هلاك

دراجتها.

تجهم وجه "بول جارث" وقال بلهجة باترة:

- إن الثمن لا يهم. المهم هو ان دراجتك أصبحت غير صالحة للاستعمال وأصدر اوامري أن يستبدلوها.

فكرت "كاتي" أنها تستحق منه حركة نفاد الصبر هذه.

من الواضح أن هذا الرجل يستطيع أن يشتري الدراجة الأكثر تقدما والأغلى ثمنا دون ان يؤثر على مصروفات جيبه العادية.

ولكن إحساسها الحاد بالكرامة دفعها للتصرف حسب آرائها. زفرت تعبيرا عما تحسه داخلها من ندم . قالت بإصرار:

- اسمع.. إن الغلطة غلطتي لو لم ارفع انفي إلى السماء بحثا عن سحابة لرايتك.

أخذ "بول" يتأمل - في هوادة وتأن - المخلوقة النحيفة الشاحبة الواقفة أمامه. إنها تحيره دون أن يدري السبب. إنها واحدة من الأشخاص الذين لا ينتظرون منه شيئا. واحتار على وجه الخصوص في عينيها اللامعتين الخضراوين اللتين تشعان ذكاء وعزيمة. أدرك فجأة أن هذه الفتاة تسبب له الاضطراب. لقد اصطدما فقط وببساطة في شارع ضيق غير مطروق. وها هي توحي له بعواطف. أن يحمي نفسه وينتبه. ومن الغريب انه يحس الحاجة إلى أن يظل بجوار هذه المخلوقة وأن يهتم بها.

إنه حقا أمر يدعو للسخرية والتعجب.

أحست "كاتي" بعدم الارتياح تحت تلك النظرات الفاحصة فمالت لتجمع بقايا دراجتها. أخذ السائق في الحال الدراجة من يدها بسرعة وخاطبها:

- أين تريدين أن أوصل هذه يا آنسة؟

لم ترغب أن تغضب الرجل الرزين.

- أكون شاكرة جدا لو تركتها في هذا المحل.

قالت هذا وهي تشير إلى حانوتها. إن اللقاء مع رجل الأحلام هذا قد انتهى الآن. ويجب أن تعود إلى الواقع القاسي. يا لأمر القدر! هي التي لا تستطيع شراء حذاء تزحلق لممارسة رياضة "الباتيناج" تصطدم بسيارة رجل يستطيع أن يشتري كل شيء! استدارت "كاتي" نحو "بول" بابتسامة شجاعة وصاحت:

- أنا أسفة لأنني خدشت سيارتك. إنها جميلة جدا ولم يسبق لي أن رأيت سيارة في ضخامتها. وأتعشم ألا أكون قد سببت ضررا بالغا. على أية حال يمكنك أن ترسل فاتورة الإصلاح إلى هنا "كاتي للديكور والهدايا".

أشارت بأصبعها إلى اللافتة المعلقة على محلها وأدارت له ظهرها.

- انتظري.

بحث "بول" في جيب البذلة الداخلي ثم أخرج بطاقة تعارف ناولها إياها وهو يقول:

- خذيها وفيها رقما التليفون في البيت والعمل وإذا احتجت لأي شيء فاتصلي بي في الحال. هل تعديني بذلك؟

ابتسمت ابتسامة شاحبة ووضعت البطاقة في جيب "الجينز" دون أن تنظر إليها ثم ابتعدت.

تابعها الرجل بعينيه ولديه إحساس بأن شيئا ما حدث بينهما لا دخل له بالحادثة. ثم ما حكاية السحاب التي ذكرتها أكثر من مرة؟ في الحقيقة كانت "كاتي برودريك" تحيره. أولا هي رقيقة جدا وصغيرة حتى إنها بدت في عينيه في وزن الريشة. عندما سقطت بين ذراعيه لاحظ الرقة المتناهية في عظامها. وارتعد أمام احتمال أن تلك العظام كان من الممكن أن تتحطم. فكر أنها تحتاج لشخص يعنى بها. ولكن هل لديه الرغبة في أن يقوم بهذا الدور؟

كان جلد وجهها الشفاف مغطى بالبقع الحمراء الغريبة حول فتحتي أنفها. ثم شعرها بلون العسل المحروق وقد جمعته في ضفيرة ذيل الحصان. ودهش وهو يتصور مدى طوله لو تركته حرا.

انتزعها صوت السائق "روبرت" من أحلامها موجها الحديث إلى سيده:

- هل هناك شيء آخر أقوم به يا سيدي؟

كانت "كاتي" قد اختفت داخل الحانوت. هز "بول" رأسه ليطرد صورة الشابة من ذهنه.

- لا.. انتظرني فسأقوم بجولة في القرية.. لن أغيب طويلا.
- حسنا يا سيدي.
- آه.. يا "روبرت"! اركن السيارة. لا أريد أن أرتكب حادثة أخرى.
- حسنا يا سيدي.

كان ذهن "بول" مشغولا تماما حاليا. إنه سيزور آخر إنجازات شركة "مجموعة ستيل".

كانت القرية في الحقيقة مكانا قديما على شكل حدوة الحصان يرجع تاريخها إلى أزمان البطولة لـ"دلاس" كانت محاطة بمنازل صغيرة ساحرة معظم أدوارها الأرضية مشغولة بحوانيت صغيرة. وكانت الواجهات كالحة وتحتاج إلى الطلاء والأسقف ينقصها الكثير من بلاطات القرميد. أما النافورة الرومانية التي تحتل وسط الميدان فهي لا تعمل من وقت طويل والحوض المحيط بها مليء بالأوراق الجافة. كان العشب ناميا ووصل حتى حافة الرصيف المتباعدة.. إن كل ذلك أخيرا سيتغير حالا وستصبح القرية مركزا تجاريا يليق بـ"دلاس".

###

جلست "كاتي" خلف مائدتها الطويلة التي تستخدمها بنكا للحساب والتسليم. استردت سيطرتها على نفسها وهي تنظر إلى الأشياء

المألوفة التي تملأ الرفوف في أقسام الحانوت والتي صنعت من أجل تجميل الحياة اليومية مثل السيراميك والبلاط الهندي والأوروبي ووسائد غير مألوفة، ومصابيح وشيلان للسيدات الأنيقات وباقات زهور جافة وتماثيل حيوانات مصنوعة من القطيفة المحشوة "إسفنجا صناعيا".

إنها تحب المكان الذي يمثل حلم حياتها. أن تبيع الجمال وتساعد الآخرين على اقتناء أشياء جميلة. ولكن الحلم كلفها غاليا والدليل أمامها ممثل في الفواتير المكومة على المائدة أمامها.

كانت في نهاية كل شهر تتساءل: هل يمكنها مواجهة الفشل؟ والآن ها هي لا تجد وسيلة للانتقال. اللعنة! إنها ستضطر إلى مغادرة بيتها في وقت مبكر.

أطلقت زفرة تصميم وهجمت على كومة الأوراق.

كان أول خطاب يحمل اسم "مجموعة عقارية" وفتحت وهي تحس بالفضول. فجأة أفلت الخطاب من بين أصابعها التي تجمدت. غير معقول! لقد تم بيع القرية إلى ملاك جدد وأعلنوا رفع إيجار المحل إلى خمسمائة دولار. لماذا لم يرفعوه إلى خمسة آلاف؟!! وهي لن تستطيع مواجهة رفع الإيجار خمسة دولارات.. ماذا ستفعل؟

قالت في نفسها: إنها ليست سوى مشكلة أخرى. فجأة أحست معدتها تذكرها أنها لم تأكل شيئا منذ مساء أمس. ألقت الشابة نظرة على آنية الحلوى الزجاجية وقالت في نفسها: إن مشكلة الجوع على الأقل قد حلت.

###

في نهاية نزهته تأثر "بول" بانجذاب خفي جعله يجد نفسه أمام حانوت "كاتي". عندما وصل إليه شاهد أشياء صغيرة وعديدة ومتعددة الألوان أمام عينيه. لم يتردد. دخل وصاح:

- ما الذي يحدث؟

ذهلت "كاتي" من ظهوره فانعقد لسانها وهمهمت:

- لا شيء...

- ولكن ما هذه الصواريخ المتناثرة على الارض؟

- إنها محتويات برطمان الحلوى التي لم اجد من بينها "بونبون" اخضر.

رغم ما بذلته من مجهود فقد صعدت الدموع عينيها وجعدت انفها ثم استأنفت الحديث:

- اسمع.. لدي اخوان واختان. عندما كنا صغارا كانت امي تشتري كيسا من "البونبون" وتقسمه بيننا.

لاحظ "بول" دموعها وسألها في رقة:

- "كاتي" ماذا بك؟

قالت وهي تنشج بالبكاء:

- دعني أشرح لك. يمكنك أن تتصور أنه بقليل من النقود كانت أمي - كي تدللنا - لا تستطيع أن تشتري سوى كيس واحد من الحلوى تقسمه بين خمسة إخوة. لقد كان لديها نظام يسلينا كثيرا. كان "مارك" يأخذ الحلوى البيضاء، و"آني" تأخذ البنفسجية و"مرجريت" البرتقالية و"بيير" الصفراء، وتحتفظ امي بالحلوى الحمراء اما انا فكنت اضع يدي على الخضراء التي أصبحت المفضلة عندي.

قاطعها الرجل:

- لقد كنت على حق. أنت مصابة في رأسك أكثر مما تعتقدين.

- لا.. لا... انا بخير.

اشارت إلى البرطمان الزجاجي وواصلت الشرح:

- إن لدي دائما حلوى من أجل أطفال زبائني. انا لا المسها ابدا، ولكن هذا الصباح وجدت رغبة أن أمضغ واحدة او اثنتين. وعندما وجدت أن كل الحلوى الخضراء اختفت كانت الضربة القاضية. هل فهمت؟

رفع "بول" يده في حذر نحو جبهة الشابة. وقال:

- يبدو أن الجرح غير عميق ولكني احب أن انقلك إلى المستشفى لمزيد من الاطمئنان.

- يا سيد "جارث"...

قال بصوت رقيق ولد لديها موجات دافئة:

- ناديني "بول".

- يا "بول" انت لا تفهم.. ليست لدي إمكانات الذهاب إلى المستشفى. ومن ناحية اخرى انا اكره المستشفيات. إن الرائحة هناك شنيعة وكل هذه الالوان البيضاء توجع قلبي.

- لا داعي لأن تقلقي من ناحية مصاريف العلاج لانني ساتحملها.

- انا لا اشك في ذلك ولكنني لا أستطيع أن اقبل.

نظر إليها في صمت. إنه في حياته لم يقابل شخصا مصمما - بهذه الطريقة - على رفض مساعدته في حين أنه يرغب في مساعدتها منذ وقعت بين ذراعيه. ابتسم:

- هل انت عنيدة هكذا دائما؟

- دائما.. كلنا بهذا الشكل في "نيوإنجلاند" حيث السماء مغطاة بالسحب في هذا الوقت من السنة.

- هذا لا شك فيه. الا يوجد شيء حقا أستطيع أن افعله لك؟

- انت لطيف جدا ولكن فعلا ليس هناك ما تستطيع أن تفعله من اجلي. وإذا اذنت لي فإنني لابد أن أستعد لاستقبال الزبائن.

ادارت "كاتي" له ظهرها وهي تدعو في سرها الا تكتشف حقيقة عدم وجود زبائن.

كز "بول" على فكيه. إنها تريد منه الرحيل. وليس عنده سبب يدعوه للبقاء. عندما خرج أحس بشعور حقيقي بالإحباط.

###

زفرت "كاتي" وهي تغلق الحانوت. من الواضح أنه يوم سيئ. لقد تلقى كل تجار الميدان خطابا مشابها لخطابها وقد أثر الخبر بصفة خاصة على السيدة "اميروستر" العجوز الطيبة والتي كانت ملكة جمال

"دلاس" في صباها وحيث يشغل مقهى الشاي الخاص بها الحانوت المجاور لحانوتها.

كانت "كاتي" قد عقدت اتفاقا معها، أن تقوم بتجديد ديكور الموائد على فترات وفي مقابل ذلك تقدم لها السيدة "اميروستر" الغداء في الساعة الثانية بعد غلق محلها. ولكن السيدة "اميروستر" اليوم كانت مضطربة بسبب رفع الإيجار فاغلقت المقهى فور علمها بمحتوى الخطاب وعادت لبيتها. كان إذن على "كاتي" أن تنسى وجبتها الوحيدة اليوم.

والأسوأ من ذلك أن دعواتها للسماء أن ترسل لها زبائن اليوم لم تتحقق. لم تشاهد سوى السيدة "جاكوبسون" والسيدة "كندريكس" وهما سيدتان تعيشان من دخل متواضع. وكانتا تقتصدان في نفقاتهما. وضعت الشابة يدها على جبينها الملتهب. ثم القت نظرة حولها قبل أن تخرج. إن منغصات هذا اليوم -بالإضافة إلى الصيام الإجباري- تحولت إلى صداع رهيب ودوار. وتساءلت: كيف ستكون لديها القوة لتعود إلى شقتها؟

لم تدهش حقا عندما رات السيارة الطويلة السوداء تقف امام حانوتها. ورغم متاعبها المالية والصداع الذي يحطم راسها فإن "بول" لم يبعد عن ذهنها طوال النهار. وفي لحظة دهشت "كاتي" من نفسها وهي تعقد شعرها بشريط أزرق بلون عيني الرجل. وبعد فترة احتضنت دبا من القطيفة وهي تتذكر اللحظات التي سقطت فيها فوق ركبتيه. والآن ها هو موجود أمام حانوتها ورغم المها الممض إلا انها احست بالفرحة تجتاحها وهي تراه.

لقد كان يشع ثقة بالنفس مطلقة وهو يدخل الحانوت. كانت واثقة تماما أن هذه هي المرة الثانية في حياته يدخل فيها حانوتا محليا من هذا النوع والمرة الأولى كانت هذا الصباح ونفس الحانوت. ومع ذلك

كان يشعر وكانه في بيته. قال:

- هل انت مستعدة؟

لم تتجرأ الشابة على هز راسها واعترفت:

- لقد كنت على وشك الإغلاق. ولكن إذا كنت تريد أن تشتري شيئا فإنه يسعدني أن ابقى.

منحها ابتسامة ذات سحر لا يقاوم:

- لقد اتيت لأصحبك إلى بيتك.

تلعثمت:

- مستحيل.

ضاقت عيناه. إذا كانت قد بدت له شاحبة هذا الصباح فإنها الآن مكفهرة الوجه خابية اللون.

كان مقتنعا طوال النهار انه سيعود ليصحبها في المساء ولكنه ندم لانه لم يحضر قبل الآن. سالها:

- هل تنتظرين احدا؟

- لا.

- هل طلبت سيارة أجرة؟

- لا.

- إذن اشتريت دراجة جديدة؟

- لا.

- إذن لابد أن انقلك لبيتك. أليس كذلك؟

عضت "كاتي" شفتها السفلى. لقد أصبح من العسير عليها مقاومة هذا الرجل الجذاب في الصباح فما بالها والآن لديها من الألم ما يجعل من الصعب عليها أن ترى ما أمامها. ليس عندها أي سلاح تدافع به عن نفسها ضده. اطلقت زفرة تدل على هزيمتها واخذت مفاتيح الحانوت بعد أن استعدت للرحيل.

الفصل الثاني

- أنا أسكن هناك فوق الجراج.

وصلوا إلى العنوان الذي أعطته الشابة إياه.

وقفت السيارة بهدوء أمام المنزل الذي أشارت إليه والواقع في حارة هادئة في الحي القديم. كانت شجرة ضخمة تفرد فروعها فوق الجراج. طارت من بين أغصانها يمامة فطارت بعض الأوراق الجافة في الهواء والتي كانت لاتزال على الشجرة رغم حلول موسم الخريف. سألها "بول":

- هل تسكنين هنا؟

- نعم وأنا سعيدة لأن هذه أول مرة يكون لي فيها مكان خاص بي. فمع تلك القبيلة من الإخوة والأخوات لم اعرف أبدا رفاهية مثل أن تكون لي حجرة بمفردي.

كانت "كاتي" قد أدركت أنها لابد أن تتكلم في أي موضوع لأن المهم

عندها ألا تجعل "بول" يلاحظ الألم الذي يصدع رأسها. استأنفت ثرثرتها:

- أنا مستقلة جدا لأن بقية سكان المنزل يخرجون في رحلات معظم الوقت.

ألقى "بول" نظرة إلى المبنى الصغير المبني بالطوب الأحمر ثم سألها:

- وهل هم موجودون الآن؟

بدت كلماته وكأنها آتية من بعيد. كان على الشابة أن تبذل جهدا جبارا حتى تحافظ على ثبات لهجتها:

- لا.. إنهم يقضون الشتاء في "فلوريدا". لقد كان من الأحرى بهم أن يظلوا هنا لأن الجو ليس باردا حقا.

عندما فتح "روبرت" الباب لها شاهدت الدرجات التي تقود إلى باب الدخول. استمرت في الحديث:

- أعتقد أن السبب الوحيد الذي يجذبهم للذهاب إلى "فلوريدا" هو البحر. يجب الاعتراف بأن "دلاس" منعزلة أكثر من اللازم.

- إنني اعترف بذلك ولكني مع ذلك لست متأكدا أن البلدية قد فكرت في شراء بحر.

نظرت إليه "كاتي" بنظرة غائمة من الألم:

- كيف؟

ابتسم لها "بول" مطمئنا:

- أنت لا تعرفين ماذا تقولين يا "كاتي". ما الذي بك؟ خبريني. أعرف أنك لست على ما يرام.

عضت شفتها السفلى وقالت معترفة:

- إنني أعاني الصداع. هذا كل ما هناك.

كتم الرجل سبابا. إنه يعرف جيدا أنه ليس مجرد صداع خفيف بالرأس.

– هل لديك أقراص؟

– لا.. لم يحدث لي أبدا أن أصبت بالصداع.

– وبالتأكيد لم يكن الصداع شديدا بهذه الدرجة.

– فعلا.

عندما رآته يضغط شفتيه من الغيظ أغلقت "كاتي" عينيها. يا إلهي! إن صراحتها بدأت تفسد عليها كل شيء. يجب عليها أن تكون أكثر حرصا.

– "روبرت" انقلنا إلى..

صاحت الشابة:

– لحظة من فضلك. إذا نطقت كلمة مستشفى مرة ثانية فسأصرخ طالبة النجدة. وأنا لا أصرخ أبدا.. أبدا.

– إنني أريد – ببساطة – مساعدتك يا "كاتي".

مدت يدها وتحسست مدى قوة ذراعه فلفت أصابعها حوله وأحست بالارتياح. همست:

– حاول أن تفهم.. إن ألم الرأس هذا لا علاقة له بالحادثة. وإنما هو مجرد صداع قديم.

عندما نطقت هذه الكلمات وصلت إلى حالة الإرهاق التام ولكن يجب عليها أن تقنعه أنها بصحة جيدة.

– ثم إنني أعرف السبب. لقد نسيت أن أتناول الطعام نهائيا اليوم. هذا كل ما هناك.

– هل أنت متأكدة؟

كان ميلها الطبيعي ألا تزعج محدثها بمشاكلها الخاصة قد دفعها لأن تعطيه – في صمت – خطاب الوكيل العقاري الذي أزعجها طوال اليوم. قالت بلهجة واثقة:

– في الحقيقة لقد كنت مشغولة جدا في الحانوت حتى إنني نسيت

أن أتناول غدائي.

كانت تشعر بالخجل من هذه الكذبة ولكن الألم أزال هذا الشعور بسرعة. صاح "بول":

– حسنا جدا! هيا بنا إلى منزلك وسأجعلك تأكلين وإذا لم تحسي بالتحسن بعد ذلك...

بدأ الهلع على الشابة. إنها لا تستطيع بأي ثمن أن تسمح له باكتشاف مدى فقر مطبخها. احتجت:

– لا جدوى من الصعود معي. لابد أنك مشغول جدا. أنت لطيف جدا لأنك صحبتني ولكني مقتنعة أن لديك الكثير من الأعمال.

– كفي عن النقاش يا "كاتي" ووفري جهدك. إنني أشك في أنك ستتمكنين من صعود درجات السلم هذا إذا وصلت إليها أصلا.. ويسعدني أن أحملك إلى شقتك.

كانت رقته لا تحتمل وقد اضطر "بول" فعلا لأن يحملها بين ذراعيه ويصعد بها إلى شقتها.

كانت شقة الشابة مكونة من حجرة معيشة مزودة بمطبخ في أحد أركانها وتوصل إلى حجرة نومها المؤثثة بذوق راق إلى حد ما بفضل ما عثرت عليه "كاتي" في محال التصفية والأدوات المستعملة في الحي. وكانت ماهرة بحيث استطاعت أن تؤثثها بأقل ثمن مع الاحتفاظ بأعلى درجة من الذوق نسبيا.

وكان كل شيء يلمع بنظافة واضحة ومع ذلك تمنت "كاتي" أن تستقبل أول زائر لها في مناسبة أخرى ولكن في الحقيقة لم يكن "بول جارث" ضيفا. إنه رجل حبوب أحس بالمسؤولية نحوها.

ذهب بها مباشرة إلى حجرتها دون أن يسألها عن رأيها ووضعها برقة على السرير. وقال لها آمرا:

– الآن ستبدلين ملابسك بينما أعد لك عشاء خفيفا.

القت براسها في الم على الوسادة وتلعثمت:

- لو نمت فإنني ساتحسن. ويمكنك ان تعود إلى بيتك إلا إذا كنت تسكن في سيارتك الفاخرة التي هي - دون شك - اغلى من ثمن معظم الشقق.

اكفهر وجهها من الألم واحس "بول" باليأس. إنه يريد باي ثمن ان يزيل عنها آلامها.. لم يعد قادرا على رؤيتها تتعذب فخرج من الحجرة ثم توجه إلى المطبخ ليعد لها اي شيء موجود.

كانت الثلاجة الكهربائية خالية تماما وفي دولاب المطبخ لم يعثر إلا على علبة صغيرة من سمك التونة وعلبة اخرى شبه فارغة من دقيق الشوفان. دهش الشاب من عدم وجود شيء تقريبا ومع ذلك وضع بعض مكعبات الثلج في كيس من البلاستيك وحمله في الحال إلى حجرة النوم. جلس بجوارها واخذ يهمس:

- إنك لم تنامي كما تدعين؟

- إنني افضل الا اتحرك لأن راسي يؤلمني جدا عندما اتحرك.

كانت ممددة على جانبها وقد دست نصف وجهها في الوسادة بينما سقطت خصل ناعمة على جبينها. ابعد "بول" تلك الخصل برقة وقال:

- يا للطفلة الصغيرة المسكينة!

لقد سقطت بين ذراعيه هذا الصباح وكانها منحة من السماء ولأول مرة منذ وفاة زوجته تاثر بهذه الأنوثة القريبة منه. إن "كاتي" لم تعرفه بعد ولكنه قرر الا يفقدها. إنها في حاجة لمن يسهر عليها وهو في حاجة لأن تعود إليه عواطفه التي فقدها منذ وفاة زوجته.

وضع كيس الثلج برقة شديدة على جبين الشابة قائلا:

- هذا سيفيدك كثيرا.

ثم حل العقدة التي جمعت شعرها فانسدل كالشلال الأشقر فوق الوسادة. قال لها:

- لقد رغبت في أن أفعل ذلك منذ اللحظة الأولى التي رأيتك فيها.

مرر اصابعه وسط الشعر الغزير وبدأ يدلك جمجمتها. همست:

- كم هو رائع ما تفعله.. إن يديك قويتان.. هل تعزف على "البيانو"؟

- لا.

- خسارة. انا أعشق الموسيقى.

- اي نوع من الموسيقى؟

- الحديثة والقديمة وكل نوع.

أدارت الشابة رأسها حتى يستطيع أن يدلك الجانب الأخر. أحست تحت ضغطات "بول" القوية أن الألم يخف شيئا فشيئا. لا شك أن هذا الصداع يرجع إلى التوتر الذي ألم بها طوال النهار. كانت "كاتي" تحاول دائما الا تستسلم ولكن هذه المرة كان مجرد توقع أن تفقد حانوتها الصغير قد سارع بهزيمتها.

- وماذا تحبين أكثر؟

في نفس واحد ودون تردد أجابت:

- أحب حانوتي.

- حدثيني عنه.

- وهل ستستمر في تدليك رأسي؟

ابتسم ابتسامة عريضة وأخذ يدلك رأسها - حتى تعبت أصابعه- مادام ذلك سيخفف ألمها. قال:

- ساستمر كل الوقت الذي ترغبينه.

ابتسمت في استرخاء وبدأت حكايتها:

- كم أشعر بالراحة من هذا التدليك.. آه، حانوتي! لقد حصلت على شهادتي في الفنون الجميلة في العام الماضي. وقد استغرق حصولي عليها وقتا كبيرا وكان علي أن أعمل بشدة في أثناء دراستي. إن سني

ستة وعشرون عاما وهي سن كبيرة على الدراسة. اخيرا حصلت على شهادتي. وكنت ايضا ادرس التجارة وكتبت إلى عدة شركات للحصول على وظيفة وجاء افضل العروض من شركة في "دلاس" وبناء عليه اتيت للعمل هنا. ولسوء الحظ اضطرت تلك الشركة إلى تخفيض عدد العاملين بها لأهداف اقتصادية وباعتباري اخر من وصل كنت أول من تلقى خطاب الاستغناء عن خدماتي. حاولت أن احصل على وظيفة أخرى ولم انجح.

استمر "بول" في عملية تدليك جمجمتها. اكملت:

- اكتشفت القرية بعد ظهر يوم عندما كنت اتمشى بالدراجة وفي الحال عشقتها. إنه مكان نسيه الزمن. وكان احد الحوانيت معروضا للإيجار. كنت دائما أحب أعمال الديكور. وقررت إذن أن أستخدم ما تعلمته في الجامعة واقيم عملا خاصا بي. كان ذلك يبدو سهلا وقتها من سنة مضت.

- وماذا فعلت من أجل الحصول على التمويل؟

- اقترضت المال من صديقة.

كانت "اني سنكلير" رائعة ومتحمسة للحانوت اكثر منها. وعندما اقرضتها "اني" النقود اثبتت لها انها تثق فيها. الامر الذي اعطاها دفعة من الشجاعة.

كانت صديقتها لديها كل الإمكانات لإقراضها ذلك الدين. ولكن "كاتي" كانت مصممة على رد الدين عندما تتحسن الأمور.

أحس "بول" فجاة أن أعصاب الشابة مشدودة :

- استرخي... إن مشكلتك لا يمكن أن تكون خطيرة.

كان "بول" يعلم أن هناك سببا لمتاعبها والامها ولكنه لم يستطع أن يفهم أن أحداث اليوم كانت أسوا مما كان يتخيل.

كانت "كاتي" الأولى من بين أسرتها التي تزاول عملا مستقلا. منذ

سنوات كانت أختها الكبرى تعنى بمنزل "إيفان سنكلير" زوج صديقتها "اني" واحد اشقائها كان لايزال في الدراسة بالجامعة وفكرت انها ستتمكن من مساعدته في تكملة دراسته بفضل الحانوت. اما أصغر الإخوة والاخوات فكانا لايزالان يعيشان مع والديهما. كانت "كاتي" تريد أن تساعدهما وكانت اسرتها فخورا بها. كيف يمكنها أن تشرح كل هذا لرجل واضح جدا مدى ثرائه ونجاحه وكذلك جمال طلعته.

نهض "بول" حاملا كيس الثلج واعلن:

- احتاج إلى مزيد من مكعبات الثلج. اتظنين انك تستطيعين ان تاكلي؟ سأستدعي "روبرت" واطلب منه أن يحضر لنا ما ناكله.

- إن في سيارتك "تليفونا" ولكني لا املك تليفونا، إنني اكتفي بتليفون الحانوت.

عض "بول جارث" على شفته حتى لا يصرخ غيظا. بمرور الوقت بدأ يرسم صورة واضحة لحالة "كاتي" ولم يعجبه ما اكتشفه. قال:

- حسنا.. سانزل واقول لـ"روبرت" أن يذهب ليحضر شيئا من مطعم صيني.

انقلبت "كاتي" على ظهرها واكتشفت أن الألم ذهب تقريبا. قاطعته:

- لا داعي لذلك وساعد العشاء فيما بعد.

- لا يوجد شيء كثير في الثلاجة الكهربائية. واقترح أن تتناولي طعامك في الخارج. بالمناسبة لماذا لا تحفظين دقيق الشوفان في الثلاجة؟

- لانه يوجد فاران يشاركاني الشقة واترك الدقيق في دولاب المطبخ حتى ياكلا.

- اقتليهما.

- ولماذا؟ إنهما يحاولان أن يحميا حياتهما تماما مثلي ومثل كل الناس. ما الضرر في ذلك؟ إنني لا أستطيع أن ادعهما ياكلان الحبوب

الصحيحة لأن معدتهما رقيقة وقد تنفجر.

لقد وصلت إلى حد أحزنه حقا. أخذ "بول" يفكر في هذا البعد الجديد في اندهاش. إن مثيلاتها ينشغلن بالتخلص من تلك الحيوانات الصغيرة بينما تسهر "كاتي" على رعاية فارين صغيرين. لم يستطع أن يمنع نفسه من لمس جبهتها محاولا تجنب المنطقة المصابة. سألها:

- حسنا.. ماذا تريدين أن تأكلي؟

- لقد قلت لك...

- "كاتي"! أنا لا أعرفك من وقت طويل ولكني أعرف بالفعل أنك عنيدة للغاية ومستقلة بفظاعة .

- عنيدة للغاية ومستقلة بفظاعة من أجل ماذا؟

- من أجل مصلحتك ومن أجل طريقتي في التفكير. أنت لم تسمحي لي أن أنقلك إلى الطبيب عندما ظننت أنه أمر ضروري ولكنك الآن لن تمنعيني من إرسال "روبرت" بحثا عن وجبة دسمة. إذن هل أختارها أنا أم تفضلين أن تختاري أنت؟

الآن وقد ذهب عنها الصداع فإن فكرة تناول بعض الغذاء أصبحت تبدو مغرية في عيني الشابة وهذا يعني أيضا أن تقضي وقتا أطول مع "بول" .

- حسنا.. أنت الذي تختار!

***

جلس "بول" أمام "كاتي" يتأملها وهي تنهي وجبتها . سألها:

- هل أعجبتك؟

وافقته بحماس فتاة صغيرة. لقد أفادتها الأطباق الساخنة التي يتصاعد منها رائحة الطعام الشهي.

استمر "بول" في الحديث:

- إنني لا آكل خارج منزلي كثيرا مثلما تفعلين دون شك. ولكني دائما

أعتبر طهي هذا المطعم الصيني ممتازا.

بدت "كاتي" مشغولة بطبق الأرز. لم تجسر على الإجابة. لما لم يكن هناك شيء في مطبخها فلا بد أن "بول" استنتج أنها تتناول طعامها في الخارج. آه لو علم! سألها:

- كيف حال صداعك؟

- اختفى.. لقد ساعد التدليك ومكعبات الثلج وهذه الوجبة الدسمة على شفائي. إنني فقط نادمة على أنني وضعتك في هذا الوضع المحرج.

- عندما تعرفينني جيدا ستكتشفين أنني لا أفعل شيئا لا أريده.

لا يوجد أحد من الرجال يستطيع أن يجعل قلب "كاتي" يدق بهذه السرعة مثل "بول". أخذت تولول في داخلها. إن رجلا مثل "بول" لا يمكن أن يهتم بفتاة مثلها. فيما مضى لم تكن "كاتي" تفكر في مثل هذه الأمور ولكن لابد أن اهتمامها اليوم كان بسبب نداء الطبيعة وقوانينها. لا يمكن لشخصين يختلف أحدهما عن الآخر إلى هذه الدرجة أن يظلا معا. إنه يشعر نحوها بعطف سرعان ما سينساه. إن "بول" سيخرج من حياتها وخير البر عاجله وقبل أن تبدأ في المعاناة والعذاب. عقدت كفيها تحت ذقنها ونظرت إليه مباشرة :

- اسمع! أعرف أنك تحس أنك مسؤول عني فلا تقلق من هذه الناحية. لا يجب أن تفعل. إنني في خير حال الآن.

ابتسم ابتسامته الساحرة التي أفقدتها مقاومتها.

- نعم لقد أحسست أنني مسؤول في البداية ورغم ما أحسسته فإنني أستطيع أن أؤكد لك أن هناك شعورا آخر أقوى.

رغم ضعف الضوء إلا أن "كاتي" لاحظت مدى عمق زرقة عينيه. كان قد دفع مقعده للخلف ووضع ساقا فوق ساق وبدا أنه على راحته.

طرقت سطح المائدة بالطبق الذي تمسكه وأعلنت :

- نحن نعيش يا "بول" في عالمين مختلفين تماما. أنت تتنقل في

سيارة فاخرة وانا.. على قدمي.

أتى بحركة بيده تدل على رغبته في نسيان هذه الملاحظة وقال:

- أنا أرمل يا "كاتي". لقد ماتت زوجتي "سارة" من خمس سنوات.

- أوه.. أنا أسفة يا "بول".

- اسمعي! أنا لا أقص عليك ذلك لأحصل على عطفك وتعاطفك. منذ خمس سنوات حاول اصدقائي المستحيل للعثور لي على شريكة حياة أخرى. ولم أنكر انه كانت لي علاقات مع بعض النساء ولكن لم تثر واحدة منهن انتباهي. أما انت فقد فعلت.

انطلقت "كاتي" في ضحكة عصبية وقالت:

- من الواضح أنني ألقيت بنفسي على سيارتك.

- لابد أن أمنح "روبرت" علاوة لأنه ركن السيارة صفا ثانيا في تلك المنطقة خاصة.

قفزت الشابة واقفة وسارت بضع خطوات ثم وقفت. أين هي ذاهبة؟ كيف ستتمكن من الهروب منه في تلك الشقة الضيقة؟ ثم هل فعلا لديها رغبة أن تهرب منه؟

أحست بالسذاجة إذا حاولت أن تمنع "بول" أن يقول لها: إنها تسحره وإنه ينجذب لها. ولكن انجذابه يرجع لأسباب تتعلق بالشرف وأيضا بقوانين الطبيعة خاصة. يجب أن تتجنب أي عذاب لا داعي له. حاولت تغيير الموضوع.

- بعد ذلك ألقيت بالحلوى في جميع المحل ثم بدأت أبكي. وفي المرة الثالثة التي رأيتني فيها كان لدي ألم رهيب في رأسي وكان لابد عليك أن تسهر علي وتعتني بي. إنك لم ترني في أحسن حالاتي. هذا كل ما يمكن أن يقال.

نهض "بول" واقترب منها ثم همس:

- مادام الأمر كذلك فإنني لا أعتقد أن قلبي كان سيقاوم أن أراك في

افضل حالاتك يا آنستي العزيزة وإلا انقطعت انفاسي.

استطاعت أخيرا أن تنطق:

- ولكن لماذا؟

- لأنني لم أقابل في حياتي امرأة لا تأكل سوى "البونبون" الأخضر وتقلق على السماء بدون سحاب.

ربت برقة كتلة شعرها الغزيرة فارتجفت "كاتي" وكأنها ورقة شجر في مهب الريح.

###

أيقظت تباشير الفجر "كاتي" كالعادة. إن صباح اليوم التالي لم يحدث به أي تغيير عن القاعدة. ألقت الأغطية وجلست في السرير. كانت كل أحلامها مليئة بـ"بول". كان منطقيا أن يكون "بول" رجل أحلامها. لقد كان مليحا وكله حنان واهتمام. إنه يحافظ على صحتها وطلب منها بحزم أن ترتاح ثم اختفى في هدوء.

لم تكن تعرف إن كانت ستراه مرة أخرى. لا شك أنه من الأفضل ألا تراه. لقد قرأت لأحد الكتاب قوله: "إن الأغنياء يختلفون عنك وعني".

و"كاتي" من الطبقة العمالية الكادحة. وصداقتها لـ"إيفان" و"آني" كانت ترجع إلى المصادفة السعيدة التي أثبتت لها أن الأشخاص المميزين يمكن أن يكون لديهم مشاكل أحد من الأشخاص المعوزين. على أية حال كان "آني" و"إيفان" ينتميان إلى طبقة واحدة. أما هي و"بول" فالحال يختلف.

أعلن مذيع النشرة الجوية في الراديو بمرح:

- "نهار آخر جميل في "دلاس بتكساس"! وتصل الحرارة إلى خمس وعشرين درجة مئوية مع رياح تهب من الجنوب. إن من حظنا السعيد أن نسكن في هذه البلدة الجميلة".

أخرجت "كاتي" لسانها للمذيع ثم أطفأت الراديو وهي تقول بصوت

مرتفع:

- إذا استمر الحال هكذا في هذه البلدة فإنني سامتنع عن الاستماع للراديو.

أخذت تمشط شعرها الطويل بعد أن أخذت دشا وتذكرت الطريقة التي كان يربت بها "بول" شعرها ويدلك جمجمتها المتألمة. تركت الفرشاة وقررت أن تدع خصلها تنسدل على كتفيها مثل سقوط أشعة الشمس.

اختارت ملابسها بعناية. كان عليها أن تذهب لمقابلة الوكيل العقاري وسط النهار وتريد أن تكون أنيقة المظهر.

قامت بزيارة للمطبخ خيبت أملها كما توقعت.

أغلقت الأبواب الثلاثة وهي ممتعضة. وقالت قبل أن ترحل:

- إلى اللقاء هذا المساء أيها الفاران.

كان أول شيء رأته عند خروجها من الشقة السيارة الصالون السوداء الطويلة مركونة أسفل البيت.

كان "بول" مستندا عليها وهو يقرأ الجريدة. عندما سمع صوت الباب وهي تغلقه. رفع رأسه واستقبلها بابتسامة سعيدة.

- صباح الخير.. كيف الحال اليوم؟

- بخير ولم أعد أشعر بأي صداع في رأسي أبدا !

استندت على درابزين الدرج وسألته:

- ماذا تفعل هنا؟

ناول "روبرت" -الذي خرج من السيارة- الجريدة . أجابها:

- أشياء كثيرة. وأهمها أنني أنتظرك.

هبطت الدرج وعبرت الرصيف. إنها لا تكاد تصدق أن هذا الرجل المذهل هنا مرة أخرى. في اللحظة التي استطاعت فيها أن تقنع نفسها أنه من الأفضل لها ألا تراه! ماذا تفعل؟

عندما اقتربت من السيارة حيت في رقة السائق الذي رفع "قبعته" وأجاب على تحيتها قائلا:

- يومك سعيد يا آنسة.

قال "بول" دون أن تترك عيناه وجهها:

- سأفتح أنا الباب يا "روبرت".

- حسنا يا سيدي.

دار السائق نصف دورة حول السيارة واختفى في الجزء الأمامي منها. هزت "كاتي" رأسها وقالت معلقة بعصبية:

- إن الوقت مبكر حقا.

- لقد أردت أن أصل في الموعد لأصحبك إلى العمل .

- "لا داعي للتعب. أفضل...

قال:

- أن تمشي؟

- إن المشي ممتاز للصحة.

- فعلا.. أنا أحب شعرك حرا غير مقيد.

كانت مثل البنات الشابات تتعرض للغزل دون أن ينبض قلبها بشدة. أما الآن فإن انفعالاتها الجديدة غير المعروفة كانت تجعلها تحس بعواطف سعيدة وملونة ومخيفة.

نطقت اسمه برقة متناهية مفعمة بالانفعال. إنه لا يشعر برغبة في أن يتركها ولكنه يعرف أن عليه أن ينتظر قبل أن يصل إلى نقطة اللاعودة. كما أن المكان والزمان غير مناسبين وهي أيضا ليست مستعدة لقبول عواطفه.

ابتعد عنها قليلا وأخذ يتأملها خاصة عينيها وكأنهما قطعتان من الزمرد تلمعان أمام أشعة الشمس. كان "بول" عادة لديه القدرة على السيطرة على الموقف. إنه يحس الآن أنه يترنح أمام هذا الجمال.

سألها:

- هل أنت جائعة؟

تغلبت كبرياء الشابة على جوعها فسارعت بالرد:

- لا.. لقد أكلت من قبل.

فتح "بول" الباب الخلفي للسيارة وقال معلقا:

- يا للأسف. لقد جعلتهم يعدون إفطارا لشخصين ربما أمكنك ابتلاع بعض الشيء.

دخلت "كاتي" السيارة وجلست واكتشفت وهي في دهشة مائدة صغيرة مغطاة بمفرش مطرز الحواف ومثبتة فوق الركبتين وقد انبعث منها رائحة القهوة الشهية داخل السيارة، بينما وضعت على أطباق من الفضة اللامعة فواكه وفطائر "البريوش" الساخنة، وخبز محمص وشرائح لحم جاف .

جلس "بول" بجوارها وأمر السائق:

- "روبرت" سر بنا فترة طويلة.

- حسنا يا سيدي.

وجدت "كاتي" صعوبة في إخفاء جوعها. وقالت بلهجة شارحة:

- ولكن لماذا هذه الوجبة؟

- لقد سبق أن قلت لك: إنه إفطار بسيط. لم يكن أمامي وقت أن أتناول إفطاري قبل مغادرة البيت لذلك فكرت أن تشاركيني فيه.

كان وهو يتكلم يضع أمامها طبقا به شرائح خبز محمص عليه طبقة من الزبد وشرائح اللحم وفطيرة "بربوش" ساخنة. ثم قدم لها كوبا من عصير البرتقال المعصور لتوه قبل أن يصب لها قدحا من الصيني به قهوة يتصاعد منها الدخان.

صاحت الشابة:

- لقد أتعبت نفسك كثيرا حتى إنني أشعر بالخجل إذا لم أتناول كل

هذه الأشياء الشهية.

لم يسبق لها أن تناولت مثل هذه الأشياء الجميلة ولكنها اضطرت للاعتدال في تناول الطعام حتى لا تظهر لـ"بول" مدى جوعها. إنها لا تريد بأي ثمن أن تجعله يشعر نحوها بالشفقة. سألته:

- ألن تأكل؟

أخذ فطيرة "بريوش" بعسل النحل وقضم منها ثم قدم لها واحدة. قائلا:

- تذوقي عسل نحل "تكساس" هذا يا "كاتي".

كانت السيارة الفاخرة المستقرة تجوب شوارع المدينة الكبيرة وكانت النوافذ المطلية تمنع المارة من مشاهدة ما يجري بالداخل. "بول" والفخامة والطعام الشهي كل ذلك يكون لحظة خرافية أرادت الشابة أن تتمتع بها تماما. ولكن الواقع القاسي ينتظرها هناك في حانوتها على شكل خطاب تجاري بارد اللهجة وعليها أن تواجهه. لقد حل "بول" دون أن يدري إحدى مشاكل هذا اليوم وهي الطعام وعليها الآن أن تجد بنفسها حلا لمشكلة أكثر خطورة وهي رفع الإيجار. لو شرحت لهم "كاتي" الموقف شرحا جيدا فإن رجال شركة العقارات سيحاولون أن يكونوا معقولين. ولكن كيف ستذهب إلى مكتب الشركة؟ وضع "بول" ثمرة فراولة في فمها قصدا. رفعت يدها واحتجت:

- هيا.. لقد سبق أن قلت لك: إنني أفطرت!

- هذا صحيح، ولكنني نسيت. أوه هناك عسل وعصير فراولة على ذقنك.

مسح لها ذقنها بمنشفة قبل أن تفعل هي ذلك. كانت أنفاسها متقطعة وهي ترد عليه:

- أنا آسفة لهذا التعب.

- لا تعب على الإطلاق فالطعام أصبح أكثر لذة في وجودك .

- إن كرمك الزائد سيجعلني أنهار.

قال ضاحكا:

- هكذا سيكون الأمر أحسن فستكون هذه المرة الثانية التي تسقط نعمة من السماء بين ذراعي.

ألقى نظرة على الخارج وقال:

- أوه.. لقد وصلنا.

كانت "كاتي" قد ألقت رأسها على مسند المقعد المريح وسألت وهي حالمة:

- وصلنا... أين؟

- أمام حانوتك.

- أوه!

نظر إلى طبقها نظرة نصف المملوء وقال متهكما:

- هل أكلت ما يكفي؟

- أكثر من اللازم.

كان بإمكانها أن تنهي على ما تبقى في الطبق الخاص بها والخاص به أيضا لولا كبرياؤها. قال:

- إذن لنخرج فلدي شيء من أجلك.

خرجت "كاتي" بصعوبة من السيارة المريحة وتبعت "بول" إلى الخلف. فتح "روبرت" حقيبة السيارة الخلفية. مال "جارث" وأخرج منها دراجة فاخرة ذات لون أخضر غامق آخر موديل. وأعلن بلهجة رسمية وخطابية:

- هذه لتحل محل الدراجة التي هاجمتها سيارتي أمس.

- لست أدري من هاجم من.

لم تستطع "كاتي" أن ترفع عينيها عن الدراجة الفاخرة وبذلت جهدا شديدا حتى تمنع نفسها من الإمساك بها في الحال وقالت في أسف:

- لا أستطيع أن أقبلها.

- بل يجب أن تقبليها.

رفعت عينيها نحوه. كانت من وقت لآخر ترى صورة رجل يختلف عن الرجل الساحر الذي كان يصحبها. ففي لحظة أصبح صوته قاسيا سلطويا. ردت عليه مهاجمة:

- لقد سبق أن أخبرتك أن الحادثة كانت بسببي.

- هل لديك سيارة؟

- لا.. طبعا يبدو أن جميع أهل "تكساس" يقودون السيارات وهم في سن الخامسة عشرة. أما أنا فلا أقود. ولست في حاجة للقيادة لا في "كانا نيكت" ولا في "نيويورك" فلدينا قطارات وأوتوبيسات ومترو الأنفاق بالإضافة إلى أن القيادة خطرة.

ضحك من هذه الخطبة ثم سألها:

- هل أنت في حاجة لهذه الدراجة؟

- نعم.

- إذن ستقبلينها.

تصارعت أفكار متضاربة داخل عقل الشابة. إنها تستطيع أن تقوم بالرحلات من شقتها إلى الحانوت وهي تتمشى وهو ما يشكل خمسة كيلو مترات يوميا. ولكن الشركة العقارية التي يجب عليها أن تذهب إليها هذا اليوم بعيدة جدا بحيث لا تستطيع الوصول إليها على قدميها. لم يكن أمامها حل سوى قبول الهدية. قالت:

- حسنا وشكرا.

- رائع! لننتقل لأمر آخر.

- ماذا؟

- دعينا نتناول الغداء معا.

لم يسبق لرجل أن فرض نفسه على حياتها مثله. كان بإمكانها أن

تجد كافة الأعذار لتقاومه ولكن ما الفائدة؛ لقد كان الأمس يوما كئيبا واليوم يوم آخر. إنها تحس أنها قوية وقادرة على مواجهة "بول" ومشاكلها، على الأقل يجب عليه أن يلح عليها:

- من فضلك يا "كاتي".

لم يعد للمنطق والعقل وجود أمام نزوة طارئة سمعت نفسها تقول:

- موافقة.

قال لها بكل رقة وحنان:

- سيمر عليك "روبرت" ليصحبك حوالي الثامنة.

اعترفت:

- إنني أتعجل الساعة الثامنة.

الفصل الثالث

في نهاية المطاف لم تستطع "كاتي" الذهاب لمقابلة رجال العقارات. إن المشوار بالدراجة من الحانوت إلى الشركة والعودة يتطلب مع المقابلة ثلاث ساعات على الأقل. وفي كل مرة تستعد فيها للذهاب يدخل الحانوت زبون. كانت في حاجة ضرورية للنقود حتى إنها لم تستطع أن تقرر إغلاق الحانوت عندما كان يقرر الزبائن الدخول. لسوء الحظ فإن هناك الكثير من العملاء ولكن القليل من المشتريات. حوالي نهاية ما بعد الظهر واتتها فكرة أن تجد سببا لعدم قبول دعوة "بول" على العشاء. كانت الشابة متأكدة من أنه سيصحبها إلى واحد من أفخم مطاعم المدينة. طبعا ستكون وجبة راقية ولكن "كاتي" ليس لديها ما ترتديه ويكون مناسبا لهذا المطعم الأنيق. أصيبت في البداية بالهلع ولكنها هدأت وبحثت عن حل لهذه المشكلة الجديدة. كان في القرية محل للملابس المستعملة. أغلقت الشابة الحانوت وعبرت الميدان وهي تشعر بالأسى.

كانت مالكة الحانوت امرأة متوسطة العمر واستقبلتها على عتبة

الباب صائحة:

- "كاتي"! يا للسعادة.. إننا لا نتقابل كثيرا.

- هذا صحيح يا "جوديث" ومع ذلك لم أحضر في زيارة وإنما طلبا للعون.

- ماذا يمكنني أن أقدمه لك؟

ثم أشارت للمحل الخالي من الزبائن وأضافت:

- كما ترين عندي كل الوقت الكافي لك.

- آه.. نعم.. لدي نفس المشكلة.

قاطعتهما صرخة نباح آتية من داخل الحانوت:

- لماذا تحبسين "بوبي" يا "جوديث"؟ لو جاء شخص ليسرقك فإنه لن يستطيع نجدتك.

- سأخرجه حالا. لقد حبسته عندما كنت أقوم ببعض التنظيف. إنه دائما في أعقابي.

- لقد أحضرته من أجل حمايتك فتذكري ذلك.

قالت المرأة الظريفة وهي تضحك:

- إن حالة الأعمال حاليا لا أعتقد أنها تجعلنا نخشى اللصوص!

وافقتها "كاتي":

- فعلا.. حسنا.. أنا سأخرج هذا المساء وليس لدي أي ملابس مناسبة لهذه المناسبة.

- أنت مدعوة على العشاء! أوه إنه أمر ممتاز!

- نعم وأنا أحاول أن أتقبل الأمر بهدوء..

- لقد رأيت سيارة فارهة أمام حانوتك عدة مرات. هل للدعوة على العشاء صلة بهذه السيارة؟

- نعم. لقد قابلت في البداية السيارة نفسها وهذا المساء سأخرج مع صاحبها.

أحست "جوديث" بالإثارة وفتحت عينيها على اتساعهما.

- إن هذا مثير!

اكتفت "كاتي" بهز رأسها. إن فكرة خروجها مع "بول" تجعلها تسبح في لذة.

- لنعد إلى موضوعنا يا "جوديث". هل لديك شيء أنيق للغاية ورخيص جدا في آن واحد؟

- أخشى أنه لا يوجد شيء ينطبق عليه هذا التعريف حيث إنني لم أتلق مؤخرا سوى أشياء عادية. دعيني أفكر!

فجأة طرقعت بأصابعها وصاحت:

- لدي ما يلزمك! لقد أحضرت لي سيدة جيبا فاخرا من الحرير وجدت أن ابنتها ارتدته أكثر من اللازم. انتظري.

اختفت "جوديث" في الجزء الخلفي من الحانوت وظهرت مرة ثانية في الحال وهي تحمل في يدها جيبا ضيقا من الحرير الموشى بالذهب وفي اليد الأخرى حذاء سهرة.

- يا لها من مصادفة سعيدة فقد وجدت الحذاء المناسب له. إنه مقاس ٣٥.

- إنه مقاسي بالضبط. ولكن يا "جوديث" إنني لا أتجرأ على ارتداء هذا الجيب المثير.

- إنه سيكون رائعا عليك.. صدقيني. أتعشم أن يكون لديك بلوزة مناسبة.

- للأسف لا.. ليس عندي شيء ذو قيمة.

- ليس لدي بلوزة. ولكن لماذا لا ترتدين صدارا أسود يظهر جمال كتفيك وفوقه شال.

رفعت "كاتي" يدها لتهدئ من حماس صديقتها.

- إنك لم تتحدثي عن الثمن يا "جوديث". لقد قلت لك: إنني أريد أن أنفق أقل القليل.

- سنتعامل كصديقتين. سأعطيك الطاقم اليوم وتعيدينه لي غدا.

- هل أنت واثقة مما تقولين؟

- بالتأكيد.. وفي مقابل أن تردي الخدمة أن تعديني بأنك ستتمتعين

بوقتك.

اندفعت "كاتي" وهي تشعر بالعرفان بالجميل والتاثر نحو صديقتها وطبعت قبلة على خد المراة السمين وتركتها وهي تسير على جناحي السعادة.

###

قبل الثامنة بقليل القت "كاتي" نظرة اخيرة على صورتها في المراة ورغم انها كانت قلقة بعض الشيء إلا انها كانت راضية عن مظهرها. كان الجيب الضيق يبرز تقاسيم جسدها الرائع بينما كشف الصدار عن كتفيها الساحرتين.

رن جرس الباب في تمام الثامنة مما جعلها تجفل إلى درجة انها وضعت يدها على قلبها الذي تسارعت دقاته. فكرت في نفسها انها حمقاء. مرت امام المراة ونظرت إلى نفسها مرة ثانية. لاول مرة في حياتها كانت ترتدي ملابس انيقة وعليها إذن ان تستفيد من تلك الامسية.

عندما فتحت الباب ورات تعبير وجه "بول" ارتجفت من السرور. حياها بصوت اجش من الانفعال:

- انت جميلة.. واستطيع أن اظل ساعات اشاهدك وان التهمك بدلا من العشاء.

سرت موجة من الدفء داخلها جعلت لون خديها يميل إلى اللون الوردي. اخذت تتامله وهي مبهورة من اناقته وملاحته. كان مرتديا بذلة زرقاء سماوية وقميصا ابيض، وكرافتة لونها بنفسجي مشوب بالحمرة. همست:

- ادخل.. انت رائع ولكن الحق يقال: إنني لم ارك ابدا إلا وانت رائع.

صاح صوت داخلها ان تنتبه. اغلق "بول" الباب خلفه واستند عليه ثم طلب منها ان تستدير.

ضحكت ضحكة صغيرة عصبية ونفذت طلبه وهي تقول:

- لم يسبق لي ان ارتديت ملابس بهذه الطريقة.

اخذ "بول" يتاملها في صمت. منذ اول لقاء لهما كان مسحورا بعينيها بلون الزمرد الاخضر وهما الليلة تلمعان من الحماس الطبيعي والخجل. وشعرها الذي يحبه جدا انسدل على كتفيها الرائعتين. واظهر الجيب الضيق القصير جمال وروعة ساقيها خاصة وقد ارتدت حذاءها ذا الكعب العالي.

- "كاتي"! ساجد صعوبة شديدة في ان أبتعد عنك الليلة.

اقترب منها وحدق إلى عينيها. لم يعد هناك مجال للكلام ولم تعد في حاجة إلى ان تطرح اسئلة. كل ما تعرفه انها الآن مع الرجل الوحيد الذي خفق له قلبها منذ ان قابلته ويزداد الخفقان كلما قابلته حتى يوشك ان ينفجر في صدرها.

سالها بلهجة حادة:

- هل تناولت الغداء؟

بدت عليها الدهشة وهي ترد:

- كيف؟ تغديت؟ لا.. لا اعتقد.

- لقد اكلت قليلا جدا في الإفطار.

- لقد قلت لك: إنني اكلت شيئا قبل ذلك.

- هذا غير صحيح واراهن انك تموتين جوعا؟

هذا صحيح ولكنها لن تعترف بذلك ابدا امام "بول". خفضت "كاتي" راسها الامر الذي جعل شعرها ينزلق فوق وجهها كغلالة من ذهب.

رفع ذقنها بكل رقة وقال:

- ساصحبك إلى واحد من احسن المطاعم في المدينة واريد منك ان تعديني ان تاكلي كل ما سيضعونه امامك.

انستها حرارة نظراته لهجته الآمرة. كان على الشابة ان تعترف بأن تنفيذ امره لن يكون صعبا.

هز راسه راضيا ثم قبلها على خدها قائلا:

- هذه لتساعدك حتى تصبري لنصل للمطعم.

###

كانت سيارة "جاجوار" خضراء في انتظارهما امام الباب. بعد ان

ساعد "بول" "كاتي" على الجلوس. دار أمام السيارة ليأخذ مكانه خلف عجلة القيادة . قالت له في دهشة:

- إنني لا أتصور أنك تستطيع القيادة.
- لقد أتيت من "كاليفورنيا".
- آه! هذا يفسر عدم حديثك باللكنة "التكساسية" ولكن لا يعني هذا أنك تعرف القيادة.
- ببساطة هو أنك إذا لم يكن عندك رخصة قيادة فإنك لن تستطيعي الانتقال في "كاليفورنيا". أنت تحتاجين إلى سيارة هناك للذهاب إلى أي مكان.
- ولكن لماذا "روبرت" وتلك السيارة الفاخرة؟
- إنني أكسب الكثير من الوقت وهو ينقلني من مكان لآخر.. يمكنني أن أعمل أو أسترخي بين الاجتماعات.

إن كون "بول" رجلا مهما لم تدهش له "كاتي" بل إنها تعتبر ذلك أمرا عاديا.

كان المطعم - كما سبق أن قال "بول"- في مكان مختار بعناية. بدا السقاة والخدم وكأنهم يطيرون بين الموائد التي زينت بطريقة راقية، كما كانت الإضاءة خفيفة تزيد من جمال الزبائن. طبعا قدموا للشابة قائمة الطعام لا تظهر فيها الأسعار التي يحتفظ بها للفارس الساحر المصاحب للأميرة. ثم إن أسعار الطعام في هذا المبنى الفاخر لو عرفتها الشابة لأصيبت بالدوار، وكانت مقتنعة من البداية أنها لن تترك شيئا في الطبق كما وعدته.

كان "بول" منهمكا في نقاش كبير مع رئيس الخدم بشأن الأطباق والمشروبات التي تناسب وكان الحديث كله يدور باللغة الفرنسية. سألها:

- حسنا يا "كاتي" ماذا تحبين أن تأكلي؟
- أتعرف حقا ما أحبه؟

نظر إليها الرجلان يتوقعان ردها . أعلنت:

- شريحة لحم دسمة وسميكة.

لمحت "كاتي" بطرف عينها مدى امتعاض رئيس الخدم، ولكن "بول" لم يهتز له رمش. لعن نفسه لأنه اصطحب "كاتي" إلى مكان لم تكن تتوقعه فألقى نظرة تواطؤ مع رئيس الخدم وأعلن:

- فكرة ممتازة وسآخذ نفس الشيء مع بطاطس مقلية وجزر أخضر بكمية كبيرة.
- حسنا يا سيدي أي نوع من العصائر تفضل؟

تشجعت "كاتي" من نجاحها فتدخلت:

- أريد مياها غازية ومعدنية.

قال "بول":

- حسنا مياه غازية ومعدنية.

ابتعد كبير الخدم وقد بدا عليه التوتر. استرخت "كاتي" في مقعدها وزفرت في رضا وبدأت تثرثر:

- أنا لم أشرب المياه المعدنية منذ تركت بيت والدي.

قاطعها صوت امرأة قائلا:

- "بول"!

أدار المنادى رأسه واتسعت ابتسامته وأضاءت وجهه. نهض بسرعة ثم طبع قبلة على خد المرأة التي نادته الأمر الذي جعل "كاتي" تتجهم.

- "ميليسا"!

كانت المرأة فاتنة سمراء وقد جمعت شعرها الثقيل خلف عنقها في ضفيرة ضخمة، وكانت فتحة ثوبها راقي التفصيل قد أظهرت نعومة بشرتها كالحرير. أحاطت عيناها ذواتا اللون البنفسجي "بول" بنظرة رقيقة متآمرة. قالت المرأة الجميلة:

- هذه فرصة أن ألقاك حتى أستطيع أن أوبخك.

كانت "كاتي" مقتنعة أن "ميليسا" لم توبخ أحدا في حياتها.. ومع ذلك كان رد فعل "بول" قد أدهشها. إذ أخذ يتلعثم وهو يبتسم في خجل.

- لقد أردت الاتصال بك.

أطلقت "ميليسا" ضحكة موسيقية جعلت كل الرجال حولهما يرفعون رؤوسهم نحوها.

- أنا واثقة من ذلك. كم مرة سمعت مثل هذه الرواية؟

- "ميليسا".

- لا داعي للاعتراض. يمكنك أن تقول: إن "آن" هي أفضل سكرتيرة. لقد قدمت لي كل الأعذار المقبولة نيابة عنك ولكني قلت لها هذا الصباح: إنك إذا لم تتصل بي تليفونيا خلال أربع وعشرين ساعة فسأستدعي الشرطة.

- نعم.. لقد وصلتني الرسالة.

- يالحسن الحظ!

زادت حيرة "كاتي" عندما وقعت النظرات البنفسجية عليها ويد طويلة امتدت نحوها.

- إن "بول" له سلوك غير معقول. إنه حتى لم يعرفنا ببعضنا البعض أنا "ميليسا بيرمان".

- وأنا "كاتي برودريك" وأعتقد أن سلوك "بول" ممتاز.

علت شفتي المرأة ابتسامة موافقة وهمست:

- حسنا ... يا "بول".. حسنا.

ثم استدارت لتقدم شخصا ظل حتى هذه اللحظة في الظل.

- "كاتي" أقدم لك "دونالد سبارجن".

كان القادم الجديد رجلا ضخما مليح الوجه بدا لـ "كاتي" وكأنه خرج من صفحة غلاف مجلة الأزياء للرجال، ومع ذلك لاحظت أن "ميليسا" تعامله ببعض البرود.

- "بول" هل تعرف "دونالد"؟

- لا أعتقد. كيف حالك؟

أجاب "دونالد":

- إنني سعيد حقا بمعرفتك أخيرا. أنت وسط رجال أعمال "دلاس" شخصية خرافية وأحب كثيرا أن أتحدث معك.

ثم ألقى نظرة على ساعة يده وقال:

- ولكن لسوء الحظ لابد أن نرحل فقد تأخرنا بالفعل.

شرحت "ميليسا":

- سنذهب إلى معرض جمعية خيرية. إن هذه البلدة يبدو أنها لا تهتم إلا بالبر والإحسان. أعتقد أنك مدعو الليلة يا "بول"؟

قال "بول" مازحا:

- هناك ظروف طارئة منعتني من الذهاب.

- هذا من حسن حظك. وبالمناسبة هل قررت متى ترحل؟

مر تعبير غريب على وجه رجل الأعمال وأجاب بحدة:

- لا.. لم أقرر بعد.

وضعت "ميليسا" يدها على ذراعه وقالت له برقة:

- في هذه الحالة اتصل بي غدا أو بعد غد على أكثر تقدير.

صافح "بول" يد الشابة وقال:

- هذا وعد.

- "كاتي" لقد سعدت بمعرفتك وأتعشم أن نتقابل مرة ثانية.

ودت الشابة أن تكره المرأة الفاتنة ذات العينين البنفسجيتين ولكن الغريب أنها لم تستطع ذلك.

- أتمنى ذلك.

عندما ابتعد الرفيقان جلس "بول" وهو يقول:

- أنا آسف على المقاطعة ولكن "ميليسا" صديقة قديمة. أرجو ألا تكوني حانقة عليها!

- لا. على الإطلاق. هل قلت: إنها صديقة قديمة؟

ودت الشابة أن تبدو دبلوماسية، ولكنها كانت تتحرق شوقا لأن تعرف طبيعة العلاقة بين "بول" و"ميليسا" بالضبط. قال:

- "ميليسا" كانت أفضل صديقة لزوجتي. ومنذ وفاة "سارة" أصبحنا متقاربين جدا أنا وهي.

- وهذا يعني أنك أنت وهي...

مد "بول" يده وامسك بيد "كاتي" وقال شارحا:

- نحن فقط صديقان مقربان ولا نريد أن نصبح غير ذلك. وعلى مدار السنوات الماضية كنت أنا وهي في حاجة إلى صداقة حقة أكثر من حب عابر. كانت متزوجة فترة قصيرة وهذا الفشل في الزواج جعلها متشككة نحو الرجال. إنهم يسمونها دائما "سيدة الثلج" في مجتمع "دلاس". أما من يعرفونها فإنهم يعشقونها.

- و"دونالد"؟

- إنه واحد ضمن القائمة الطويلة للأشخاص الذين يأملون أن يجدوا الطريق إلى قلبها. لسوء الحظ أنها عانت كثيرا مع زوجها حتى إنها لم تعد تثق في أي رجل.

- خسارة.. لقد سألتك متى ترحل؟ إلى أين؟

أجل وصول النادل مؤقتا حديثهما. حيث أحضر المياه المعدنية الشهيرة في وسط دلو من الثلج المجروش ملأ كوبيهما بالشراب المنعش البارد وشربت "كاتي" جرعات كبيرة.

زفرت وهي تضع كوبها:

- كم هو لذيذ. إنني أشعر وكأنني في "كانا نيكيت" لقد نسيت أنني في "تكساس".

- أريد تماما ألا تنسي ذلك.

تسارعت دقات قلب "كاتي" أمام رقة صوته وهمست:

- إن اللذة تأتي فقط من برودة الماء.

- وبالتأكيد بسبب عدم وجود سحاب؟

- إنني مضطهدة بفكرة السحاب. أليس كذلك؟

- هل تشتاقين إلى شيء غير السحاب في بلدك؟

- لست أدري إن كان هذا هو الحنين للوطن.. إنني سعيدة هنا ولكن...

- ولكن الحياة غير سهلة بالنسبة لك.

ذهلت من قوة ملاحظته وأجابت ببساطة:

- فعلا.

- كل شيء سيكون بخير وأعدك بذلك.

ابتسمت له وهي تهز رأسها. لقد عملت عملا شاقا طوال حياتها والآن لديها شيء خاص بها وستتصرف حتى ينجح حانوتها. إنها ستنجح في إقناع شركة العقارات بأن رفع الإيجار عمل غير معقول.. على أية حال لا دخل لـ"بول" بمشاكلها وأبعدتها عن ذهنها. إنها تستمتع بالطبق اللذيذ الذي وضعه النادل أمامها.

كان "بول" مشجعا على الطعام لا يبارى. وفي نهاية الوجبة لم تتذكر أنها ضحكت في حياتها بمثل هذه الكمية من قبل واستفادت من اللحظة دون أن تفكر في الماضي. قالت مازحة:

- لقد زاد وزني كيلو جراما على الأقل.

دخلا الشقة الصغيرة الخاصة بالشابة بعد أن عادا من المطعم. قهقه "بول" وهو يلقي بنفسه فوق الأريكة:

- يمكن أن يزيد وزنك عشرة كيلو جرامات دون أن يلحظ أحد ذلك.

- لدي الكثير من البنطلونات الجينز التي ستشهد على صدق قولي.

بطريقة ما أحست بأن وجود "بول" في شقتها جعلها أكثر ضيقا. وقفت أمامه على بعد مسافة لا بأس بها ولكن عينيه الزرقاوين كانتا تتأملانها بعمق شديد حتى أحست بأنه قريب جدا منها رغم بعد المسافة. اضطربت وحاولت أن تشتت فكرها بأن تنظر حولها ثم قالت:

- أخشى أنه لا يوجد عندي ما أقدمه لك.

- بعد تلك الوجبة ليست لدي أي رغبة في تناول أي شيء.. غيرك. تعالي اجلسي بجواري لنتحدث.

لم ينتظر حتى تفعل وإنما أمسك بيدها وجذبها لتجلس بجواره على الأريكة. كان من الواضح منذ لقائهما الأول أنه لا يحب التمهيدات الطويلة قبل التعبير عن عواطفه. قال لها:

- أنا أحبك يا "كاتي"!

- أعرف ذلك.

هناك شيء آخر تعرفه هي وهو أنها في سبيلها للوقوع صريعة هواه ولم يعد بيدها أن تفعل شيئا لتمنع وقوعها.

استسلمت "كاتي" لمشاعرها الجديدة. لقد قررت أن استسلامها لعاطفتها الجديدة نحو "بول" سيكون أهم حدث في حياتها. فجأة.. أحست الشابة بألم حاد في معدتها جعلها تصرخ، تبعه ألم ثان وثالث حتى اضطرت لثني ركبتيها حتى تكتم ذلك الألم. صاح "بول":

- يا إلهي! ماذا هناك يا "كاتي"؟

- إن لدي مغصا شديدا في معدتي.

أحست بالعرق البارد على جبينها وأخذت تلهث وهي تحاول أن تشرح:

- كان من الواجب أن أكون أعقل من هذا.. إنني لم يسبق لي أن أكلت كل هذه الكمية في حياتي. مرة واحدة.

أغلقت عينيها وهي تشعر بارتباك شديد. زمجر "بول":

- اللعنة يا "كاتي"! لقد كنت جائعة.. لقد رأيت ما في ثلاجتك الكهربائية. إن الفارين يأكلان أفضل منك.

- هل يمكن أن تصحبني إلى حجرتي.. يمكنك أن تصرخ فيما بعد.

رفعها "بول" بين ذراعيه ونقلها إلى سريرها ثم سألها:

- هل لديك "بيكاربونات الصوديوم"؟

- لا..

- ولا أملاح قلوية؟

- لا.

تكورت على نفسها ووضعت وجهها في الجدار آملة ألا يلاحظ مدى عذابها. زمجر "بول":

- بالتأكيد لا... إنني أتساءل: لماذا تحتاجين لدواء وليس لديك ما تأكلينه؟

- هناك قربة ماء ساخنة. لقد أخذتها من أمي.

كانت "كاتي" تشعر بالمهانة وترتجف من الألم وفكرت أن "بول" لم يكف

عن السهر عليها منذ أول لقاء لهما. لا يوجد أي رجل يمكن أن يتحملها ومن المؤكد أنها ستفقد "بول".

ناولها قربة الماء بعد أن ملأها بالماء الدافئ وقال لها برقة:

- سأخرج بحثا عن صيدلية ليلية. لابد أن تتناولي دواء. هل ستتحملين حتى عودتي؟

- نعم ولا داعي لأن تعود. في الحقيقة لا أريد منك أن تعود.

لم تستطع "كاتي" أن ترى ابتسامته الحنون.

- استريحي يا "كاتي"!

- أمرك.

سمعت الشابة باب الشقة وهو ينغلق. عندما وجدت نفسها بمفردها أحست فجأة بتعب شديد يغمرها. كانت منهكة تماما جسديا ونفسيا لقد حدث لها الكثير من الأمور والأحداث وبسرعة مذهلة. ربما سيكون لديها غدا القوة للتفكير في كل ذلك. أما الآن فإنها ستترك حرارة القربة الطبية لتساعد معدتها على الارتخاء واستسلمت للنوم.

***

عاد "بول" بعد فترة قصيرة وذراعاه محملتان بالأغذية التي عثر عليها في بقالة تعمل ليلا وبمجموعة من الأدوية كافية لتغذية وعلاج فرقة من الجيش. عندما وجد أن "كاتي" نعست لم يرغب في إزعاجها. وضع كل ما أحضره في الثلاجة الكهربائية ودواليب المطبخ التي أوشكت أن تنفجر من حمولتها.

عندما انتهى. عاد إلى حجرة نومها على أطراف أصابعه واقترب من الشابة وقبلها على جبينها ثم همس:

- إذا كنت تعتقدين أن مغصا بسيطا في المعدة سيجعلني أهرب فأنت مخطئة.

عاد بعد ذلك إلى المطبخ، ووضع بعض الجبن للفارين. ثم عاد ليتمدد على الأريكة.

الفصل الرابع

عندما استيقظت "كاتي" صباح اليوم التالي كان وجهها بشعا. اصطدمت يدها بقربة الماء على معدتها عادت كل ذكريات الليلة الماضية إليها وتاوهت من الشعور بالمهانة التي اصابتها بالم في معدتها وياله من سبب لهذا المغص.

سمعت أصواتا آتية من المطبخ اثارت انتباهها همت ان تنهض عندما انفتح باب الحجرة وعبره "بول" المبتسم . قال:

– صباح الخير. كيف حال معدتك؟

أزاحت خصل شعرها الكثيف من فوق عينيها واخذت تتامله وهي مذهولة. كان قميصه الأبيض مفتوحا ويتطاير حول بنطلونه الأزرق السماوي المكرمش. لقد كانت نفس الملابس الانيقة التي كان يرتديها بالأمس. سألته:

– ماذا تفعل هنا يا "بول"؟

– لقد سألتك كيف حالك فلم تجيبي. هل سمعتني؟

– انا في خير حال. لقد اكلت كثيرا بالأمس. هذا كل ما هناك.

اختفت ابتسامة "بول" وجاء ليجلس بجوارها.

– ماذا تريدين أن تقولي؟ إنك لم تتناولي وجبة كاملة من مدة طويلة.

ادركت مدى الغضب المختفي تحت كلمات الرجل ولكنها لم تلمه. أي شخص آخر في مكانه كان سيفعل مثله. قالت:

– انا آسفة بالنسبة لليلة امس يا "بول". إن لك الحق في أن تغضب مني. إنك في الفترة القصيرة التي عرفتني فيها اضطررت لعلاجي من جرح في جبيني وصداع قاتل في رأسي وسوء هضم. إن هذا الوضع ليس رومانسيا على الإطلاق. لقد...

رفع ذقنها باصبعه بحزم ليجبرها على أن تنظر في عينيه:

– اتظنين أنني غاضب حقا منك أيتها البلهاء الصغيرة؟ لأنني لم اتحدث في الحب؟ إنني حقا أحبك يا "كاتي" ولكن أمامنا العمر كله. وأحب ان انذرك أن هذه آخر مرة تمرضين فيها من عدم الأكل.

اضطرها شعورها بالكرامة أن تصد هجومه:

– هذا ليس صحيحا. انا لست محرومة من الطعام.

– لا تكذبي أيتها الفتاة الصغيرة. لم يكن هناك شيء لا في الدواليب ولا في الثلاجة الكهربائية.

لوت فمها في حركة تحد:

– لم يكن لدي وقت للذهاب إلى السوبر ماركت.

– لقد قلت لك: لا تكذبي علي.

حاولت آخر مرة أن تشرح:

– إن رقائق الشوفان مفيدة جدا للمعدة الرقيقة.

انتظرت أن تحتدم المناقشة ولكنها لم تتلق سوى الصمت. وابتسم لها فاستسلمت. يبدو أن "بول" يعرف كل مفاتيح شخصيتها. إن خبراته بالنساء واسعة وهذا واضح جلي . ولكنه مفتتن بها وليس يحبها. إن علاقتهما ستكون – دون شك – قصيرة وسيتركها وقد تحطم قلبها.

بذلت "كاتي" مجهودا لتدافع عن نفسها:

- "بول"!

- احــتـفظي بانفـاسك لمعـدتك. إنك لن تقنعـيني. انت لا تاكلين ولا تشبعين جوعك لانك مضطرة للاقتصاد. هل انا على حق؟

خلصت ذقنها من قبضته وفحت بصوتها من بين أسنانها:

- هل يمكن أن نكف عن الحديث في ذلك؟ إنني أسـتطيع التـصـرف جيدا بمفردي وقد استطعت ذلك حتى الآن. وشكرا جزيلا. إن ما آكله او لا آكله لا يخصك. ومن ناحية اخرى لم تجب حتى الآن عن سؤالي. ماذا تفعل هنا؟

- لقد قضيت الليلة هنا.

ذهلت واختنق صوتها:

- انت ماذا؟

لم يعر شعورها بالمهانة اي اهتمام وشرح:

- لقد تمددت على الأريكة. لم أستطع أن اتركك بمفردك على الحـالة التي كنت عليـهـا فـقد تحـتـاجين إلي. وبالمناسـبـة اتريدين قـدحـا من القهوة؟

- لا يوجد قهوة في هذا البيت.

- سأحضر لك القهوة في الحال. وقبل ذلك اريد منك ان تعديني بشيء ما . هيا استيقظي وإن كنت احبك وانت ناعسة واتمنى ان اراك كثيرا هكذا.

قاطعته وهي مضطربة:

- هل تريد مني أن اعدك بشيء؟

- أريد منك أن تعديني انك من الآن فصاعدا ستتناولين ثلاث وجبات يوميا. أريد منك أن تكوني في أكمل صحة وسعادة.

مررت يدها في عصبية بين شعرها وردت بحدة:

- إنك لن تصدقني ولكني نادرا ما امرض.

سألها:

- منذ متى تقتصدين في مصروفات الطعام؟

- منذ أن حصلت على الحانوت.. من سبعة أشهر.

- أستطيع أن اقول لك: إنك بهذا المعدل سرعان ما ستقعين مريضة بدرجة خطيرة قبل الشتاء.

قالت في نفسها: "إن عليها أن تقاوم". وقالت بعناد:

- أنا قوية.

تحسس ذراعها النحيلة وقال:

- انت قوية مثل عصفور سقط من العش. انا رجل اناني يا "كاتي". اريدك أن تكوني قوية وممشوقة القوام.

احست "كاتي" بدمها يندفع بعنف في عروقها. لجات إلى آخر ما تبقى لها من عقل لتقول:

- "بول" إن مابيننا أمر مستحيل أن يحدث.

أضاءت ابتسامته المنتصرة تأثير هذا الكلام:

- اعـتـقـدي مـا تريدينه يـا "كـاتي" ولكن لابد أن تعـرفي هذا: أنت ستكونين لي.

نظر إليها نظرة أذابتها ثم قال:

- لا وقت امامي للنقاش. سأذهب لإعداد الإفطار!

- دعك من الإفطار وابق بجانبي.

دهش "بول". لم يكن يعرف أنها تحبه إلى هذه الدرجة. إن حبه لها أصبح جزءا منها ولا تستطيع أبدا أن تتخلص منه. إنه سيكون دائما معها. لقد أحست بداخلها بميلاد عاطفة تلتهمها حتى إنها أحست بالرعب، ولكنها مع ذلك تريد أن تعيش هذه اللحظة بكل ما فيـهـا من عمق. كانت كل حواس "بول" متيقظة، وأحس بداخله بطاقة مجهولة أما هي فلم تعد تسمع سوى صوتها وهي تردد:

- يا حبي.. يا حبي.

###

ظلت "كاتي" مغمضة العينين وهي تنهل من لحظات السعادة وأحلام اليقظة. عندما فتحت عينيها صاحت فجأة في فزع:

- يا إلهي! كم الساعة الآن؟ لابد أن أذهب للحانوت .

رفع "بول" رأسه نحوها وقال:

- إنها السابعة والنصف ولايزال الوقت مبكرا. في أي ساعة تفتحين الحانوت.

- رسميا في العاشرة.

كانت تأمل أن ترى السعادة التي تحسها وقد انعكست على عينيه. استدارت لتواجهه وتابعت :

- إنها ساعة فتح المحال في كل القرية. ولكني أذهب إلى هناك حوالي الساعة الثامنة لمراجعة المخزون . وإذا حضر زبون صباحي فتأكد أنني لن أطرده.

- حسنا هذا الصباح لأول مرة لن تذهبي مبكرة أولا ستأخذين دشا ممتازا ثم إفطارا شهيا .

- بدقيق الشوفان المتبقي؟

ابتسم "بول" وداعب شعرها. قالت في نفسها: "إنها هذا الصباح ستفتح الحانوت في وقت متأخر". ثم فجأة تذكرت أن عليها أن تذهب للوكيل العقاري.

تأوهت وهي تقول:

- أنا آسفة يا "بول" لابد أن أنهض.

- إن هذا النوع من المزاح يجرح كبريائي.

- إنني آسفة جدا. لدي شيء معين مهم أفعله اليوم.

قال معلقا:

- أحب أن أراك وأنت تضحكين.

- أنت تفعل كل ما تستطيع حتى تمنعني من النهوض من هذا السرير.

- لا على الإطلاق.

###

بينما كانت ترتدي ملابسها سمعت وهي حائرة حركة "بول" النشطة

في المطبخ. إنها تعرف أنه لم يعد عندها لا قهوة ولا لبن. أما بالنسبة لرقائق الشوفان الشهيرة فهي لا تعتقد أن "بول" ينوي أن يبتلعها جافة. ألقت نظرة رضا على صورتها في المرآة وأسعدها تغيير وجهها المشرق. سمعته يقول:

- "كاتي". الإفطار جاهز.

- أنا قادمة.

لفت الشال فوق الثوب الأزرق ذي الياقة الذي أعطاها مظهر الطالبة. يجب أن تكون متحفظة.

عندما دخلت حجرة المعيشة ألقت نظرة على المطبخ وكتمت أنفاسها. رأت الأغذية في كل مكان من علب وربطات وأكياس وزجاجات فوق الثلاجة والمائدة وعلى الأرض. صاحت:

- "بول"! ما كل هذا؟

- أتذكرين عندما خرجت بالأمس لإحضار الدواء؟

- نعم.

- بجوار الصيدلية الليلية بالضبط يوجد -سوبر ماركت- مفتوح ليلا من النوع الذي لا يغلق أبوابه أبدا كما تعلمين. وقد انتهزت الفرصة لإحضار بعض المؤن.

- بعض المؤن؟

ناولها طبقا مليئا لآخره بالبيض واللحم المقدد .

- إنني لا أستطيع أن أتحمل فكرة أنك لم تأكلي شيئا . ولا تبالغي في الأمر.

احتجت "كاتي":

- ولكن هذه تساوي مئات الدولارات. كيف سأتمكن من رد هذه المبالغ؟

- المسألة ليست مسألة رد النقود. أريد منك أن تأكلي كل هذا حتى تحافظي على صحتك.

عقدت ذراعيها على صدرها وقالت له مؤنبة:

- يا "بول"! أنت تغذيني منذ أن التقينا.

- لابد أن يفعل ذلك شخص ما.

- ألا ترى أنك أكثر عنادا مني؟ يمكننا أن نتجادل أياما طويلة حول هذا الموضوع دون أن نتفق أبدا.

- إذن من الأفضل أن تقبلي المؤن.

- أرى أنني لن أستطيع أن أطلب "السوبر ماركت" ليحضروا لاسترداد كل هذا. إن ما يمكنني أن أفعله هو أن أسجل كل هذا ثم أرد لك ثمنه شيئا فشيئا.

- أنا أعرفك جيدا. إنك لن تأكلي إلا إذا ظننت أنك قادرة على الدفع. ولما كان من الصعب عليك أن تدفعي فإنك ستتركين نفسك حتى تموتي جوعا.

- إن الطريقة الوحيدة التي تجعلني أستوعب كل هذه الكمية هي أن تشاركني فيها.

- هل هذه دعوة على العشاء؟

- بالضبط.

فكرت "كاتي" أنها أيضا دعوة على جميع الوجبات ولكن من الأفضل ألا تتكلم عن المستقبل. حاليا تناول العشاء معه هذا المساء يكفيها.

أشرق وجه "بول" بابتسامة انتصار وهو يعلن:

- رائع! هيا نتناول بسرعة طعام الإفطار. إن كل هذه التمرينات فتحت شهيتي.

###

ربطت "كاتي" دراجتها في أحد أعمدة ساحة الانتظار ورفعت عينيها إلى برج "هايز" وهو مبنى راق مشيد من الأسمنت المسلح والصلب والزجاج. وكانت تعرف أنه واحد من أقدم ناطحات السحاب في "دلاس" وقررت أنه تحمل ثقل الزمن.

عرفت عن طريق التليفون أن القرية السياحية اشترتها مؤسسة "هايز" أحد فروع مؤسسة "ستيل" وباعتبار الشابة قد حصلت على

دورات في التجارة فقد كانت تعرف كل شيء عن مؤسسة "ستيل" وعن رئيس مجلس إدارتها والعضو المنتدب "جيمس ستيل". ولما كانت تخشى نوع الشخصية التي تستعد لمقابلتها فإن ثقتها في نفسها بدأت تتضاءل. إن إيجار محلها ليس سوى قطرة ماء في محيط الأعمال التي تشملها هذه المجموعة.

سواء أكانت لديها الثقة أم لا فإن عليها أن تواجه الأمر وأن تحاول. أصلحت من تسريحة شعرها ودخلت العمارة بكل شجاعة.

بعد لحظات وجدت نفسها في الدور الخامس والثلاثين من البرج حيث تجمعت مكاتب مؤسسة "هايز" بعد أن تغلبت على العوائق المتمثلة في السكرتيرة المسؤولة عن الاستقبال وسكرتيرتين أخريين وجدت أمامها شابة ساحرة بدا عليها علامات الحمل المتقدم وكان على مكتبها لوحة تحمل اسم "آن بوش".

- هل عندك موعد؟

اعترفت "كاتي":

- لا. واسمي لن يوضح شيئا للمدير ولو أمكن وخصص لي لحظة من وقته فإنني سأكون شاكرة له للأبد.

- هل يمكن أن تطلعيني على موضوعك؟ فقد أستطيع أن أفعل لك شيئا.

- شكرا جزيلا. أخشى أن يكون المدير هو الوحيد الذي يمكن أن يفعل لي شيئا.

- حسنا.. ما اسمك؟

- "كاتي برودريك".

أخذت "آن" تطرق سطح المكتب وهي شاردة. لقد مر عليها ثمانية أعوام وهي تعمل سكرتيرة لـ "بول جارث" أو الأصح منذ تركت "سوزي أندرسون" وظيفتها مع العجوز "جون هايز" لتتزوج بـ "جيمس ستيل" المالك الجديد للشركة.

بالتأكيد لم يكن من عادات "آن" أن تدع المجهولات يتسربن إلى داخل

مكتب "بول" دون موعد سابق. ولكنها أحست بشيء لطيف ومثير في تلك الشابة. كما أن "كاتي برودريك" ليست من نوع السيدات اللاتي يزرن "بول جارث" عادة. كان وميض اليأس الذي قرأته في عيني الشابة قد مس وترا حساسا في قلبها. إنها ستبذل كل ما في وسعها حتى يستقبلها "بول". همست وكأنها تحدث نفسها:

- إنه سيقتلني.

- عفوا؟

زفرت "آن":

- لا شيء.. أنا أتحدث مع نفسي وهو ما بدأ يحدث لي كثيرا مؤخرا. اجلسي وسأرى ما يمكنني أن أعمله من أجلك.

- أوه... شكرا جزيلا.

- أنا لا أعدك بشيء.

كانت "كاتي" عصبية إلى درجة لا تستطيع معها الجلوس فبدأت تسير ذهابا وإيابا. يا إلهي! لابد أن تنجح.

###

غاص كعبا حذاء "آن" في الموكيت الكثيف. كان مكتب "بول جارث" موجودا في نهاية حجرة واسعة وعن يساره مائدة مؤتمرات ضخمة محملة بالتليفونات وعن اليمين أرائك مرصوصة على شكل نصف دائرة تعطي مساحة للأحاديث. في نهاية الحجرة كذلك مائدة بيضاوية مخصصة لتناول الطعام. وباب يؤدي إلى مطبخ صغير عملي.

كانت "كاتي" مشغولة بتأمل الديكور الذي أعادت تجديده باللون البيج والكستنائي والأخضر الداكن وذلك من فترة وجيزة وهنأت نفسها على تأثيره على الجو العام للمكتب.

###

قالت "آن":

- "بول"! هناك من يريد أن يقابلك.

كان مديرا لها ظهره وهو واقف أمام نافذة واسعة تطل على كل مدينة

"دلاس" والسهول التي وراءها. استدار نحو المرآة وهو مشغول البال. قال في دهشة:

- لا أعرف أن لدي موعدا الآن.

- فعلا ليس عندك مواعيد الآن. ببساطة شابة ساحرة تطلب مقابلتك.

- هل أخبرتك ماذا تريد؟

- لا.. ولكن لدي إحساس أنه أمر مهم جدا.

انطلق "بول" في الضحك:

- يبدو أن أمومتك المستقبلة جعلتك كريمة أكثر. لقد سهرت يا "آن" خلال ثمانية أعوام كالصقر وفجأة تريدين مني أن أستقبل هذه المخلوقة التي تريد - دون شك- أموالا من أجل أعمال البر والإحسان لابد لزوجك أن ينتبه وإلا استقبلت عندك كل متشردي الحي حتى إنه لن يبقى لديك مكان للطفل.

غمرت "آن" سحابة من الرقة عند ذكر زوجها "دريك" والطفل الذي تنتظره. عندما عرفت "بول" كانت مغرمة به ولكن ابتسامة واحدة من "دريك" بعد فترة من عملها مع "بول" كانت كافية لأن تجعلها تكتشف الحب الحقيقي.

- أعتقد يا "بول"...

- ليس عندي صبر ولا وقت. استمعي لحكايتها وإذا كانت تستحق فامنحيها شيكا.

جلس على حافة مكتبه ولوح برزمة أوراق. وقال:

- لتكن الطائرة جاهزة للإقلاع هذا المساء. لقد اتصل بي "چيمس" وهو يريد مني أن أذهب لمعاينة شركة أخرى لأعطيه رأيي. سأتغيب مدة يومين.

- إنني مشتاقة إلى "سوزي" ولولا الحمل لأخذت يومين إجازة وصحبتك.

- إنها ستصل فور وضعك الطفل. أنا متأكد من ذلك.

- لا شك في هذا. ولكني كنت أود لو أنها سكنت أقرب من ذلك حتى

أراها أكثر من المرتين أو الثلاث في السنة.

- إننا نشتاق إلى "سوزي" و"جيمس" وهما على العكس لا يحتاجان لأحد.

- هذا صحيح.

كانت قد وصلت تقريبا إلى باب الخروج عندما ناداها :

- "آن" لماذا تهتمين بهذه الشابة التي تنتظر؟

- لست أدري وإنما هو إلهام.

- هل قالت لك اسمها؟

- "كاتي برودويك".

قفز "بول" فوق مقعده وقبل أن تنصرف "آن" كان عند الباب الذي فتحه بعنف وهو يصيح :

- "كاتي"!

دهشت "كاتي" من سماع هذا الصوت المألوف فسألت:

- "بول"؟

- لماذا لم تخبريني انك آتية؟

لم تصدق "كاتي" عينيها. سألته وهي مذهولة :

- وكيف كان بإمكاني ان أقول لك؟

- لقد أعطيتك بطاقة التعارف في أول مرة التقينا فيها معا. ألا تذكرين؟

- هل تحاول أن تقول لي: إنه أنت رئيس شركة "هايز"؟

- نعم وهذا واضح. ألم تفهمي ذلك؟

أفسح لها الطريق حتى تدخل مكتبه أمام عيني "آن" المذهولة. حلت المهانة محل المفاجاة فصاحت "كاتي" غاضبة:

- وكيف كان بإمكاني أن أفهم؟

- كارت التعارف يا "كاتي". إنك لم تنظري إليه.

كان يضحك بصوت مرتفع وهو سعيد أن يجدها بالقرب منه. إنها لم تغب عن تفكيره طوال فترة الصباح وزادت حاجته إليها في كل ساعة

تمر. أغلق الباب واقترب منها وأخذ يربت شعرها ورغم غضبها الشديد إلا انها تركته يفعل ذلك.

- كم انا سعيد برؤيتك يا "كاتي" العزيزة! لقد مرت ساعات قليلة بدونك فاصبحت مريضا.

ابتعدت عنه فجاة ولاحظ تعبيرها المشوش فسألها:

- ولكن ماذا حدث يا "كاتي"؟

- لم أستطع أن أعرف أنك رئيس هذه الشركة.

أحس "بول" فجاة بعدم الارتياح دون أن يعرف السبب. أما "كاتي" فتعرف سبب فزعها. أولا: إن رئيس الشركة الشرير الذي رفع سعر الإيجار لحانوتها هو "بول". "بول" الرجل الذي كانت معه في حجرة نومها الخاصة يعالجها ويسهر عليها من ساعات قلائل. يجب عليها أن تتمالك أعصابها وهي تناقشه في حين أن قلبها ينفطر.

ثم لماذا لم تخطر ببالها فكرة أن تسأل "بول": ماذا يفعل في القرية السياحية في أول لقاء؟ ثم إنها تحس بعدم الارتياح في هذا المكتب الذي يحس هو فيه براحته. قالت له:

- هذا المكتب أكبر من حانوتي.

رد عليها "بول":

- هذا ليس صحيحا. هيا تعالي اجلسي. سأطلب من "آن" أن تحضر لنا مشروبات منعشة.

"آن"! أغلقت "كاتي" عينيها وهي ثائرة على نفسها. بالتأكيد! لقد تحدثت "ميليسا" عن "آن" وهي في المطعم أمامها ليلة أمس. سألها:

- ماذا تريدين؟ هل أطلب منهم أن يحضروا لنا الغداء؟

- لا... شكرا... إنني لا أستطيع أن أبتلع أي لقمة.

كان كلامها هذه المرة صحيحا. كانت تحس وكأنها تلقت لكمة في معدتها. أخذ "بول" يتأملها وهو منفعل. كان شعرها جميلا وقد نكشته الرياح ويسقط بلا نظام على ياقتها التي تشبه ياقة المريلة المدرسية.

- هل حضرت بالدراجة؟

تصورت أنه يلومها فصاحت في ثورة:

- وكيف تتصور أنني يمكن أن آتي هنا؟

- كان "روبرت" سينقلك إلى أي مكان تحبين.

- "روبرت" سائقك أنت وليس سائقي.

- كان من الممكن أن تنقلبي من فوق هذه الدراجة. ألا تفكرين أبدا في أمنك؟

- يبدو أنني لا أفعل.

زفر "بول" ثم استأنف حديثه:

- حسنا. أعتقد أنه من الأفضل أن ننسى هذا الموضوع. لابد أن أشكر السماء لأنها لا تمطر ولا يغطيها السحاب ولا الثلوج.

- في "دلاس" لابد أنك تمزح.

كان "بول" يشك في دوافع ثورة الشابة ولكنه فضل أن يتجاهل سخريتها.

- أنا سعيد جدا برؤيتك يا "كاتي". ولكن مادمت لا تعرفين من أنا فما الداعي إذن لحضورك؟

أحست "كاتي" بأن قلبها يتجمد. من أول نظرة فهمت أن "بول" ينتمي إلى طبقة الرؤساء. وبطريقة ما صارعت ضد هذا التصور ثم أخيرا تعودت عليه. ومع ذلك عندما رأته في وسطه الرفيع أحست بصدمة عميقة.

والأغرب من ذلك أن هناك حقيقة واضحة تسبب لها ألما شبه جثماني. إن "بول" هو الذي قرر رفع الإيجار لحانوتها. إذن هو السبب في متاعبها. قال:

- "كاتي".

قررت في نفسها أنه ليس أمامها بديل سوى أن تلقي بقنبلتها ثم تهرب. أخرجت الورقة من الجيب ومدتها إلى "بول" وهي تقول:

- لقد تلقيت هذا الخطاب أول أمس. وهو صادر من وكالة عقارات يخطرني أن إيجار حانوتي سيرتفع خمسمائة دولار. وقد ذهبت إلى

الوكالة المذكورة هذا الصباح لأخبرهم بأنني لا أستطيع مواجهة هذه الزيادة. وأجابوني بأنهم ينفذون الأوامر... أوامرك كما هو واضح.

بدا الحرج على "بول" وقال:

- اللعنة! لقد نسيت ذلك تماما. أنا آسف يا "كاتي". لماذا لم تحدثيني عن هذا الخطاب قبل الآن؟

- عندما تلقيته لم أتصور أبدا أنه له صلة بك.

سكتت لحظات وهي مرتبكة وهي تتذكر علاقتهما الحميمة. همس لها صوت داخلها أن تنتبه فهي هنا في عمل. استأنفت الحديث:

- خمسمائة دولار يا "بول". إنها فضيحة! على أية حال في هذه اللحظة أي زيادة لا مكان لها. لقد شاهدت بنفسك القرية ولاحظت حالتها.

- لقد كنت أعرف أنها أطلال قبل أن أراها. إن "بيل لودلو" المسؤول عن العقارات قدم لي تقريرا كاملا قبل أن أعطيه الضوء الأخضر لشرائها.

- إذن لابد أن تفهم. "بول"! أعتقد أنني أخبرتك أنني عشقت حانوتي من أول مرة وقعت فيها عيناي عليه لأن القرية بدت لي مكانا نسيه الزمن. لا شك أنني كنت ساذجة. إن سحر المكان والإيجار المتواضع دفعاني لاتخاذ قراري. لقد صارعت بكل ما لدي من أجل حانوتي ولكني لم أفكر قط في أن الوضع يمكن أن يكون خطيرا على الأقل إلى أن تلقيت هذا الخطاب.

انفعل "بول" بعمق من فزع الشابة ولعن نفسه لأنه لم يهتم بهذا الموضوع قبل أن يصل الأمر إلى هذا الحد. نهض واقترب منها ولكن الشابة ابتعدت عنه بعنف.

- لا تنس أنني حضرت لمقابلة رئيس شركة "هايز".

عقد "بول" ذراعيه على صدره أمام هذا العناد:

- حسنا! سنتخذ الإجراءات حسب طلبك على الأقل حاليا. إذن نحن لم نشتر الحوانيت وإنما المباني وإذا اضطر المستأجرون الحاليون إلى

ترك أماكنهم فإن آخرين سيحلون محلهم حسب الإيجار الجديد وهذا ما يحدث في مثل هذه المواقف.

سكت فترة وجلس خلف مكتبه ثم أكمل:

– في حالة القرية قدر "بيل لوبلو" أن نصف المستأجرين لن يتأثروا بالزيادة. لقد مضت عليهم سنوات في أماكنهم وربحوا أموالا تجعلهم يتحملون الزيادة. لقد أعطيت موافقتي على ضوء هذا التقرير. وأنا لم أكن قد رأيت القرية على الطبيعة إلا في ذلك الصباح عندما قابلتك. ومع ذلك حتى لو عرفت أن واحدا من المستأجرين سيترك محله بسببنا لاتخذت قراري رغم ذلك فهذه طبيعة الأعمال .

كانت تلك الملحوظة المثلجة جعلت "كاتي" ترتجف.

نهض "بول" ودار حول مكتبه وقرب مقعدا منها وجلس بجوارها. استمر في حديثه:

– إن ملاك القرية لم يحصلوا على أية أرباح منها في السنوات الأخيرة. وهذا يشرح سبب حصولنا عليها بثمن مربح. لقد تركوها تصبح أطلالا حتى إن الناس في الأحياء المجاورة أوشكوا أن ينسوها.

اقترب دون تفكير من الفنانة خبيرة الديكور وهو مصمم على إقناعها.

– إن الإيجار الجديد الذي نطلبه مناسب تماما مع الإيجارات في المناطق المجاورة والذين يحصلون على أرباح مجزية. وشركة "هايز" في سبيلها للقيام بحملة تجديد تهدف إلى جعل القرية منطقة تجارية جديدة قابلة للتوسع. ومستأجرو الحوانيت الذين ستحضر لهم زبائن جدد يمكنهم دون مشاكل دفع إيجار مرتفع. وصدقيني إن ذلك أفيد لهم.

كانت "كاتي" قد استمعت لهذا الحديث بانتباه شديد. كل ما يقوله يتناسب مع العقل والمنطق السليم. ولكنه لا يقدم لها أي معاونة وإنقاذ. قالت:

– أنا واثقة من أن كل هذا جميل على الورق. فهل هو هكذا في الواقع؟ وماذا سيحدث في الفترة من اللحظة الحالية حتى اللحظة التي ستعطينا حوانيتنا عائدا ضخما بفضل تدخلكم؟ وماذا لو كنت مخطئا؟

– أنا لا أخطئ يا "كاتي" وإلا لما وظفتني مؤسسة "ستيل". في الحقيقة

فإن رفع الإيجارات تكون آلية عندما نشتري عقارا جديدا ننوي أن ندفع فيه استثمارات طائلة. لقد كنت أجهل أن الخطابات قد أرسلت بالفعل. وعادة لا أهتم بهذه التفاصيل.

فجأة أحس "بول" أنه تعب من تمثيل دور المدير العام ورئيس مجلس الإدارة. كانت النظرات من العينين الزمرديتين ترمقانه مما جعله يضطرب. أمسك بيدي "كاتي" وحاول الاعتذار.

– كل ذلك كان بسببي. لقد فكرت فقط في تغذيتك ونسيت حانوتك. كان من الواجب أن نتحدث عنه ولكن ذهني كان شاردا في أمر آخر.

احمر وجه "كاتي" من هذا التعليق ومنعته من الكلام.

– لا أريد منك أن تقلقي فإن الزيادة التي قدرها خمسمائة دولار لن تدفعيها عندما يتم التعديلات وينهمر الزبائن الجدد. إنني أفكر في ذلك وسالغي إيجارك إلى أن يزدهر حانوتك.

عندما انتهى من حديثه فهم من شحوب وجه "كاتي" أنه ارتكب غلطة كبرى.

اهتزت "كاتي" من الأسى والغضب. حتى لو كان يريد بها خيرا فليس من اللياقة أن يقول لها شيئا مهينا لهذه الدرجة. قالت له في تحد:

– أنت تقول لي في وجهي: إنك تريدني وترغبني. وأنا أعرف ما أفعله بالتأكيد في هذه الحالة مقابل كرمك.

– أنت تسيئين فهم نياتي يا "كاتي". لقد شاهدت مجهوداتك من أجل النجاح وقد أعجبني ذلك. إنني -ببساطة- أريد مساعدتك.

– بأن تتناسى إيجاري؟

– نعم.

فكرت "كاتي" وهي مرهقة في أن هذا لطف من جانبه. إلا أنه لم يذكر إيجارات الحوانيت الأخرى. في الحقيقة تذكرت بمرارة أنها استسلمت لعواطفه دون فهم.

– أخشى أنني لا أستطيع قبول عرضك السخي.

بذل جهدا جبارا حتى يتمكن من النهوض. قالت:

– أرجو أن تلتمس لي العذر. أمامي طريق طويل للعودة إلى حانوتي.

قفز "بول" وهو يصرخ:

– لا يمكن أن ترحلي هكذا يا "كاتي"! لابد أن نتحدث.

– هذا ما فعلناه.

– اسمعيني! سأرحل بطائرتي هذا المساء إلى "كاليفورنيا" وأحب أن أدعوك لتصحبيني.

قاطعته بحدة:

– هذا لطيف من جانبك. ولكني دائما لا أحب "كاليفورنيا" ثم إنه ليس معي جواز سفر.

وبخت نفسها قائلة: "يا إلهي! إنني أقول أي شيء يجب علي أن أخرج من هذه الحجرة بأي ثمن قبل أن تزداد حماقتي". وفي نفس الوقت ارتعبت وهي تسمع نفسها تقول:

– أريد أن أقول لك شيئا سيضحكك. أنا عاشقة لك. ما رأيك؟ هل سبق أن سمعت ما هو أشد حماقة؟ ها هي قد قالتها. تأملته في هدوء ورأت وجهه مكفهرا. قالت في نفسها: "إنه يبدو وكأنني جرحته وصار ينزف حتى الموت". ما الذي تفعله لو قال لها: إنه يحبها؟ ثم ماذا ستفعل لو أنه قال لها: إنه لا يحبها؟. لم تتصور "كاتي" أنه لن يقول شيئا ومع ذلك ساد صمت ثقيل يزداد وطأة ولا يطاق.. أخيرا قال "بول" بلهجة حاول أن يجعلها تبدو طبيعية قدر المستطاع متجاهلا الموضوع.

– سأغيب يومين أو ثلاثة. وعندما أعود..

– لا.. إنني أفهم وضعك. افهم وضعي! أنا كبيرة وناضجة بحيث أستطيع أن أحل مشاكلي الخاصة بنفسي.

– وإذا لم تستطيعي أن تحليها؟

– هذا ليس من شأنك. وداعا!

لم يبذل "بول" أي جهد ليمنعها من الخروج. عندما أغلقت الباب خلفها طلب السكرتيرة في التليفون الداخلي:

– الآن. أريد أن أكلم "ميليسا بيرمان" واطلبي من "بيل لودلو" أن يحضر.

الفصل الخامس

اعتادت "كاتي" أن تخصص أمسياتها في تخيل بعض الديكورات ولكن هذه المرة وجدت نفسها عاجزة عن ذلك تماما. ولماذا تشغل بالها بالديكور. وهي ترى أن حانوتها سيفلت من بين يديها؟ هذا الحانوت الذي هو كل حياتها وعالمها إلى أن قابلت "بول" ووقعت في حبه بكل براءة الفتاة الصغيرة. في الحقيقة لم تكن "كاتي" فتاة صغيرة وقد بلغت من العمر ستة وعشرين عاما ويجب عليها أن تبدو أكثر حرصا ويقظة.

كل شيء كان سيسير على ما يرام لو لم ترفع أنفها إلى السماء بحثا عن سحابة من المستحيل وجودها. قبل ذلك لم يكن لديها سوى مشكلة واحدة هي أن تحاول أن توازن أمورها. والآن خلقت لها مشكلة ثانية وهي حبها لـ"بول" الذي لا يحبها.

اعترفت الشابة أنه لم يتعمد خداعها. لقد اشترت شركته القرية وخطابات الإنذار أرسلت قبل لقائهما. ولكن أن تعرف أنه هو الذي حطم أحلامها فهذا أمر فوق احتمالها.

لقد عرض عليها أن يساعدها ولكنّ كبرياءها اللعينة منعتها من قبول مساعدته.

باختصار لا يمكن أن تسمح "كاتي" لنفسها أن يظهر "بول" أو أي شخص آخر لها العطف. وإذا لم تعثر بمفردها على الطريقة المناسبة لإنقاذ حانوتها فإنها ستبيعه. كانت "كاتي" لا تصدق أنها كانت من الجنون بحيث تبوح له بسرها هكذا بلا مواربة وقد فات أوان الندم. ثم ماذا عن تعبيره عندما قالت له: إنها تحبه! إنها لن تنسى ذلك أبدا. إنها لم تفهم أبدا. على أية حال يجب أن تخضع للدليل الواضح وهو أن "بول" لا يحبها وأن عليها أن تستمر في أن تعيش مع هذه الحقيقة. فوتت عشاءها. إن فكرة: كل ما تدين به لـ"بول" - ثمن كل هذا التموين- افسدت شهيتها.

وفي صباح اليوم التالي التهمت على العكس إفطارا دسما. إنها ستحتاج إلى كل طاقتها حتى تعثر على فكرة يمكن بها أن تنقذ حانوتها وأعمالها أو لتحمل الآم فقده..

جلست في حانوتها في ساعة مبكرة وراجعت حساباتها عمودا عمودا محاولة العثور على أرباح حيث لم يكن أمامها سوى خسائر. في الحادية عشرة تلقت خطابا مسجلا يخبرها فيه السيد "بيل لويلو" المدير العام لمؤسسة "هايز" أن الزيادة في الإيجار خمسمائة دولار قد تأجلت مدة عشرة أشهر.

كان أول رد فعل لـ"كاتي" هو الشعور بالمهانة. إن "بول جارث" وراء هذا التأجيل وبسببها. إن سكوته الطويل دليل كاف على أنه لا يحبها وهذا الخطاب يعلن أنه سيكرهها دائما. إنها أفهمته أنه ليس سيد مصيرها.

عندما أوشك النهار أن ينتهي أتيحت لـ"كاتي" الفرصة للحديث مع جيرانها من التجار وقد خفت حدة غضبها شيئا فشيئا. لقد تلقوا جميعهم نفس الخطاب. من المحتمل أن دوافع "بول" أنانية ولكن على الأقل فإن كرمه لم ينسه الآخرين عندما شاهدت وجوههم السعيدة قالت

في نفسها: "إن من الواجب عليها - على الأقل - أن تعترف بجميله في هذه الناحية".

كانت السيدة "أميروستر" سعيدة بهذا الإعلان.

- لقد كنت مريضة فعلا. عندما يصل المرء إلى سني لا يوجد أشياء كثيرة يمكن أن تضفي عليه المال والرضا. وصالون الشاي الخاص بي يوفر لي الأمرين.

ورغم أن "كاتي" كانت بعيدة جدا عن سن السيدة "أميروستر" فإنها وافقتها على طول الخط.

كل الناس لابد أن تعيش ماديا وروحيا. ويجب أن يساعد "البوتيك" "كاتي" ماديا و"بول" أوجد عندها الحياة العاطفية ولكنه هجرها. إن الخطاب يعطي مهلة لتجارتها وليس لقلبها.

***

رفعت "كاتي" رأسها عندما سمعت الباب ينفتح ثم ينغلق وصرخت:

- "ميليسا"!

عندما نطقت الاسم مجردا ندمت في الحال. ربما بدا قلة ذوق منها أن تنادي هذه الشخصية رفيعة الأناقة باسمها المجرد وهي ماراتها إلا لحظات. إن مجرد وجود سيدة المجتمع هذه في حانوتها سيضفي أناقة عليه لم تكن تحلم بها.

تقدمت "ميليسا" وهي تبتسم بحرارة:

- "كاتي"! كم أنا سعيدة برؤيتك مرة ثانية.

ألقت نظرة فيما حولها وأظهرت اهتماما كبيرا بما تراه. ثم أضافت:

- لم تكن لدي أي فكرة أن هذا الحانوت ملكك. إنه ساحر فعلا.

كانت "ميليسا" ترتدي ثوبا من الصوف الكشمير لونه بيج وهي حسناء كما سبق أن رأتها "كاتي". كانت تحس بأنها باهتة بجانبها. ردت:

- نعم هذا المحل ملكي.

- رائع! لقد كنت على وشك أن أقول لـ"ليلي".

استدارت تبحث عن شخص ما ثم صاحت:

- "ليلي"!

أجاب صوت صاف:

- أنا هنا. لقد عثرت على دببة فاتنة صغيرة. الحق معك عندما أردت المجيء إلى هنا.

شرحت "ميليسا":

- أنا و"ليلي" كنا نتنزه بالسيارة وقررنا أن نتوقف عند هذا المكان الساحر.

سألتها "كاتي":

- هل تبحثين عن شيء معين؟

- لا في الحقيقة. نحن نحب أن نتسكع ونتفرج إذا لم يكن هذا يضايقك.

- لا على الإطلاق.

- تعالي يا "ميليسا" شاهدي هذه الدببة لأنني ساشتريها.

كانت "كاتي" تعرف سبب حماس "ليلي" التي لاتزال مختفية. كانت "كاتي" قد كونت فوق مائدة أمام واجهة العرض مشهدا لعيد الميلاد لعائلة كاملة من الدببة تلعب وسط الثلوج. وكانت قد غطت المائدة بالثلج الصناعي وصنعت قرية بمنازل صغيرة من السيراميك. تبعت "ميليسا" إلى خلف كمية الأكاليل التي تخفي "ليلي".

كانت "ليلي" امرأة شابة في مثل سن "كاتي" تقريبا ومظهرها راق جدا وهي شقراء وعيناها تلمعان مرحا. قالت "ليلي":

- انظري يا "ميليسا"، هذا الدب الأب وهذه الدبة الأم وها هما طفلاهما. إنها ستكون لها تأثير رائع في قاعة الطعام.

تنحنحت "كاتي" وقالت مصححة:

- أسفة فإن هذه المجموعة ليست للبيع إنها عينة.

تأوهت "ليلي" وقالت:

- أوه.. هذا مستحيل.

- هذه العينة لتبين للزبائن ماذا يستطيعون أن يفعلوا بالأدوات الموجودة هنا.

قالت "ليلي":

- لست أفهم.

شرحت "كاتي":

- يجب صنعها بنفسك.

- هل يمكنني أن أطلب واحدا في هذه الحالة.

بدت "ليلي" مصدومة. تساءلت "كاتي": كيف يمكن لشخصية من الواضح أنها مدللة أن تجتذب تعاطفها؟ قررت أن تطمئنها.

- هذا أمر سهل. عندي هنا كل ما هو لازم لتركيب مثل هذا المنظر: البيوت الصغيرة والكنيسة والأشجار وبالتأكيد الدببة من كل الأحجام وما عليك سوى أن تجمعيها وتلصقيها.

- أنا لم أشاهد شيئا كهذا من قبل. هل رأيته يا "ميليسا"؟

- ولا أنا.

ابتسمت "كاتي" في تسامح واستأنفت الحديث:

- توجد ورشة داخل الحانوت يمكنني أن أريكما مثالا عمليا. وإذا رغبتما استطيع أن أريكما كيفية صنع الدبة الأم وبعدها يمكنكما أخذ المواد وتكملة البقية في البيت.

أمسكت "ليلي" بيد "ميليسا" وسألتها:

- إن لدينا الوقت. أليس كذلك؟ أحب أن أجرب.

- بالتأكيد فإن ذلك سيكون مسليا للغاية.

صحبت "كاتي" السيدتين إلى ركن الورشة وأجلستهما أمام مائدة كبيرة. ثم شرحت لهما نقطة نقطة كيف يفعلان ووضعت المواد اللازمة أمامهما.

- رائع! هل يمكنني أن أبدأ؟

أسعد حماس "ليلي" "كاتي" حتى إنها فكرت لو استطاعت أن تجتذب مائة زبونة مثلها. فإن حانوتها سيحظى بفرصة الازدهار.

كانت "ميليسا" منهمكة في مهمتها وبدت جادة جدا. ومع ذلك تساءلت "كاتي": كيف يمكن لامرأة لم ترفع أصبعها مرة واحدة في عمل في حياتها تستطيع أن تجد متعة في درس في الأشغال اليدوية. صاحت:

- استمري يا "ليلي" ولكن لا تنسي أن تضغطي بضع ثوان على القطعة التي تلصقينها.

ذهبت لخدمة سيدة مهتمة جدا بأشغال الإبرة كان من الواضح أنه ليس لديها أي فكرة. سمعت صرخة أعادتها للورشة. وهي تعتذر للسيدة. جرت لترى ماذا حدث واكتشفت أن "ليلي" لصقت- ثلاثة من أظافرها المطلية بعناية بطلاء الأظافر بشريط من القطيفة.

- يا إلهي!

كانت "ميليسا" تضحك من صميم قلبها . بينما وجه "ليلي" الرقيق تقلص من القلق. تأوهت :

- يا إلهي! ماذا أفعل؟

بين نوبتي ضحك اقترحت عليها "ميليسا":

- سأصحبك في الحال إلى خبيرة العناية بالأظافر الخاصة بك. ربما تطلب الأمر نزع أظافرك.

فزعت "كاتي" من احتمال فقدها لعميلة فقالت:

- يكفي أن تصبي الماء الساخن فترة والقطيفة ستفك من نفسها.

- لا.. أعتقد أن "ميليسا" على حق.

نهضت "ليلي" والشريط الثقيل ملتصق بأطراف أصابعها واستعدت للرحيل. دهشت "كاتي" لأنها لم تطلب سيارة الإسعاف. ولكن أحسن ما حدث هي أنها قالت قبل أن ترحل:

- احتفظي لي بأشيائي. سأعود غدا لإنهاء العمل.

قالت "ميليسا" وهي تتبعها في مرح:

- إلى اللقاء غدا يا "كاتي"!

عادت "كاتي" إلى عميلتيها وهي شبه مقتنعة بأنهما لن تعودا مرة ثانية. دهشت "كاتي" من أن السيدة اشترت خمس قطع من الكانافاة.

عانت "كاتي" هذا المساء وحدتها. اضطرت أن تتناول عشاءها وتنام بسرعة وفي وقت مبكر عن المعتاد. مرت الأيام التالية ببطء.

وكانت من حين لآخر تقترب من زجاج نافذة العرض ودون تفكير كانت تأمل أن ترى سيارة ذات شكل خاص تظهر. ثم تعود لعملها وهي تزفر.

عادت "ليلي" و"ميليسا". أنهت "ليلي" عمل دبيتها دون حوادث أخرى وقررت أن تشتري كل المواد اللازمة لإعادة تكوين المنظر. عندما تسلمت "كاتي" المبلغ الضخم أحست بالرغبة في الغناء.

###

في اليوم التالي عادت "ليلي" لتطلب منها تزيين كل منزلها من أجل عيد الميلاد المجيد. قالت:

- سيكون عندي جمهور من أبناء وبنات الإخوة في إجازة الأعياد وسيكون غريبا وجديدا أن يشاهدوا دببة في كل مكان. ولكني لا أستطيع أن أفعل كل هذا بمفردي.

قالت "كاتي" مشجعة:

- ويمكننا أيضا أن نصنع جنودا وطبلا مع بعض اللعب القديمة وأكاليل زهور بألوان زاهية في كل مكان وأشرطة ملونة على درابزين الدرج.

أشرق وجه "ليلي" بالسعادة.

- أعرف أنه سيكون لديك أفكار مذهلة. أراهن أن العديد من صديقاتي ستطلبن منك تزيين منازلهن.

- لست في الحقيقة إخصائية ديكور.

- على أية حال لقد رتبت الأشياء بطريقة جميلة.

رفعت "كاتي" إلى السماء دعوة صامتة حمدا وشكرا. يبدو أن عيد الميلاد المجيد يجتذب الزبائن وكانت سيدات كثيرات ممن يرتدين ثيابا غالية يدخلن الحانوت وقد بدا عليهن الحماس من فكرة أن يتمكن بأنفسهن من صنع ديكورات العيد. أخذت الأخبار تتنقل وكل زبونة

تحضر صديقتها ومن بين الزبونات كان البعض يزرن "جوديث" التي سعدت بذلك.

###

ابتسمت "كاتي" وهي تحسب حصيلة اليوم. كان الجو قاتما بالخارج ولكن النهار كان ممتازا رغم برودة الجو. اعلنت هيئة الأرصاد الجوية عن هبوب بعض الرياح وربما تساقط الثلوج. بدات الامور تنصلح لم يعد يهمها أن تسمع اخبارا عن "بول". وهو ما ظلت ترددہ باستمرار.

دخل شاب في العشرين من عمره إلى الحانوت . فتحت "كاتي" فمها لتقول له: إن الحانوت مغلق ولكنها تراجعت. لا محل هنا لعدم تشجيع زبون.

- هل يمكنني أن أقدم اي خدمة؟

نظر الشاب إلى الباب خلفه ثم نظر إليها مرة ثانية وتجهم وقال بغضب:

- وكيف يمكن أن تقدمي لي اي خدمة؟

فجاة أخرج مدية من جيب السويتر الجلدي الذي كان يرتديه وضغط على يدها فظهر في الحال نصل رفيع وحاد وقاتل. قال بلهجة الأمر:

- كل نقود الخزانة!

لاحظت أن عينيه غائمتان وصاح:

- بسرعة.. النقود!

كز على أسنانه وتقدم نحوها ودار حول مكتب الحساب. حاولت "كاتي" أن تحتج وهي تفكر في مدى حاجتها لتلك النقود وفيما سيفعله ذلك الشخص. أحست بالنصل البارد على عنقها . قال لها مهددا:

- لا داعي لارتكاب أية حماقة. افتحي الدرج .

حاولت أن تبعد رأسها لأقصى حد عن السلاح القاتل وفتحت بيدها اليمنى درج الخزانة.

- حسنا.. ضعي كل ما هو موجود على مكتب الحساب.

جمع النقود بسرعة ودسها في جيبه.

- والآن أين الخزانة الكبرى؟

- ليس.. ليس عندي خزانة كبرى.

انغرس طرف السلاح في لحمها قليلا فبدأت تنزف. احست "كاتي" بانها مريضة من الخوف .

- لا تكذبي يا فتاة. كل المحال بها خزانة كبرى.

- عدا هذا الحانوت.

لولا أن نصل السكين كان من الممكن أن ينغرس اكثر داخل عنقها لصرخت وهي تتعرف على صوت "بول". دفع الشاب المنحرف "كاتي" امامه وهو يضع السكين بين كتفيها ونظر نظرة سوداء إلى "بول" وزمجر:

- هل ستلعب دور البطل؟

- من فضلك لا تسبب لها اي ضرر.

- إنها ستخرج معي. وكوني سأسبب لها اذى أم لا يعتمد عليك.. ابتعد عن طريقي.

تنحى "بول" جانبا. بدا اللص يتراجع وهو يجر "كاتي" التي كان قلبها يدق حتى يوشك أن ينفجر.

قرات في عيني "بول" مدى رعبه هو. عندما وصل الفتى إلى خلف بنك الحساب أسرع في خطواته ولما كان مركزا عينيه على "بول" لم يلاحظ وجود طرد على الأرض تعثر فيه وعندما حاول حفظ توازنه حتى لا يسقط ترك "كاتي".

أفلتت "كاتي" من بين ذراعيه وفي نفس اللحظة القى "بول" بنفسه عليه. تصارع الرجلان. كان "بول" أقوى، ولكن الشاب كان مثارا بسبب المخدرات. رفع سلاحه وطعن "بول". انغرس النصل في كتف "بول" اليمنى بعمق. صرخت "كاتي" :

- "بول"!

احس "بول" بالم يتفجر في كتفه، ولكنه تمكن من الإمساك برسغ المجرم وجعله يترك سلاحه الذي تقطر الدماء منه ويسقط عند قدمي

"كاتي" التي كانت مشلولة من الرعب.

كانت شبه فاقدة للوعي وهي تبحث عن شيء ثقيل. امسكت سلة مليئة بادوات الديكور بالدور المطلوب حيث رفعتها لاعلى قدر ممكن وتركتها تسقط بكل قوتها على جمجمة الشخص البائس الذي فقد الوعي بعد أن انتفض قليلا.

نهض "بول" وقد بدا الألم واضحا على وجهه.

- هل أنت بخير؟

همس:

- نعم.. استدعي الشرطة.

ترددت الشابة بعض الوقت. كانت أول حركة فعلتها انها جرت نحو "بول". كان مكفهر الوجه قاني اللون وبقعة من الدماء واضحة على البلوفر.

- لابد أن أعمل لك ضمادة لمنع الدم.

كز على أسنانه وقال:

- استدعي الشرطة!

استند على أحد الرفوف وهو يحاول التخفيف من أمله وكان المعتدي عند قدميه قد فتح عينيه.

أسرعت "كاتي" نحو التليفون بعد لحظات وصلت الشرطة يتبعهم سيارة إسعاف.

###

ظلت "كاتي" في المستشفى بجوار "بول" وامسكت بيده بينما يعالج الطبيب جرحه. لم تكن تعرف تماما إذا كان وجودها يريحه ولكنها كانت تعرف تمام المعرفة انها لن تستطيع البعد عنه.

عندما انتهى الطبيب من تضميد الجرح حذر "بول" :

- لابد أن تقضي الليلة هنا وربما تظل يوما أو اثنين.

- لا.

كان الطبيب معتادا على سوء أخلاق المرضى. فقال ملحا:

- إن هذا في مصلحتك يا سيد "جارث". نحب أن توضع تحت الملاحظة. إن جرحك عميق. ولحسن الحظ انه لم يصب العظام ولا الأوتار ولكن يمكن أن تحدث تعقيدات.

قال "بول" مؤكدا:

- لن أقضي الليل هنا في هذا المستشفى.

ثم حدج "كاتي" بنظرة حانية وقال:

- إنها بيضاء أكثر من اللازم.

بدا هذا الكلام غريبا على الطبيب فقال:

- ارجو المعذرة!

- لا شيء.

بذل "بول" جهدا ليقف على قدميه وقد تقلص وجهه من الألم. أعلن وهو يلهث:

- ساعود إلى بيتي.

كان الطبيب محملا بالعمل أكثر من اللازم فهز كتفيه بلا اكتراث.

- افعل ما بدا لك. واتعشم أن يكون هناك أحد يسهر عليك.

لم يجب "بول" وإنما حدج الشابة بنظرة غريبة . ثم قال:

- إنني اعيش في الفندق وحيدا. أعطني قميصي من فضلك!

كانت "كاتي" قد استدعت "روبرت" بناء على طلب "بول" والذي كان قد اتى ليصحبهما وأحضر معه قميصا نظيفا و"سويتر" من الجلد الرقيق.

ناولته "كاتي" القميص الذي ارتداه بصعوبة في حين كان الطبيب يحرر "الروشتة" وإذن الخروج الذي قال معترضا:

- لا مجال إذن أن أسمح لك بالعودة إلى بيتك. إن حجرة في فندق ليست المكان المناسب لجرح مثل جرحك والذي سيجعلك تعاني الألم كثيرا.

ظل "بول" صامتا وهو لا يريد أن يكشف عن أن الحجرة في الفندق هي في الحقيقة جناح في الطابق الأخير من الفندق الذي يعد أفخم فندق في "دلاس" وأن "روبرت" السائق يعيش في شقة في نفس الدور.

تدخلت "كاتي":

- إن الطبيب على حق. لا يمكن أن تذهب إلى فندقك.

- إذن سأذهب إلى بيتك.

- كيف؟

- إنك ستسهرين علي. أليس كذلك؟

- أوه...

لم يتح لها "بول" الوقت للكلام وقال:

- كل شيء تم ترتيبه يا دكتور. خبرنا بما يلزم.

الفصل السادس

لم تفكر "كاتي" أبدا في أن تحاول إثناء "بول" عن الانتقال إلى شقتها. من المفروض عليها أن تبذل المستحيل لتساعده لأنه كان من الممكن أن يلقى حتفه بسببها وهذه الفكرة ظلت تطاردها وإذا كانت تجهل السبب الذي جاء به إلى الحانوت في اللحظة التي تمت فيها عملية السرقة فإنها على الأقل تعرف أنه عرض حياته للخطر لينقذها، والواجب يفرض عليها أن تسهر عليه: الواجب... والحب!

ساعد "روبرت" "كاتي" في إجلاس "بول" في أفضل وضع مريح في سريرها. ثم ذهب ليحضر المضادات الحيوية التي أمر الطبيب باستخدامها.

وكان قبل ذلك قد ألبسه بيجاما زرقاء وأعطاه مهدئا. كانت "كاتي" تحس من الألم - الذي يبدو على وجهه - أنه يعاني الكثير دون أن يشكو. سألته:

- هل هذه المهدئات ليس لها تأثير كبير؟

- لا في الحقيقة.

سحبت مقعدا بالقرب من السرير ولكن "بول" اشار لها بيده اليسرى ان تجلس بجواره. كان مسترخيا على كل الوسائد التي جمعتها "كاتي" من البيت. وكان ضوء مصباح الليل الموضوع على "الكومودينو" يلقي ظلالا على صدره العاري. بينما ضمادة ضخمة تغطي الجزء العلوي من صدره وذراعه الأخرى مستندة على شال بلون كريم.

ترددت "كاتي" في الجلوس على السرير.

- إنني أخشى أن اسبب لك ألما.

- إنك تسببين لي ألما اشد لانني الوي راسي حتى استطيع ان اراك.

وهكذا انهزمت وجلست وهي تحرص على الا تحرك المرتبة كثيرا. وضع يده على ركبتها وسالها:

- كيف حالك؟ يبدو انك لست في خير حال. كان من الواجب أن تدعي الطبيب يفحصك.

- انت المصاب ولست انا. إنه لم يصبني سوى خدش.

اغلق "بول" عينيه وهو يصارع انفعاله.

- عندما شاهدته والمدية في يده وددت لو صرعته.

- إنه هو الذي أوشك أن يقتلك.. سنتيمترات قليلة كانت كافية لاختراق السكين قلبك.

ضغط على ركبتها بقوة.

- لقد انتهى كل ذلك! وشكرا لاستقبالك لي عندك.

أفصحت الضحكة الخفيفة عن عواطف الشابة المتضاربة التي يثيرها وجود "بول".

- لا يوجد مكان متسع هنا. وغدا لابد أن أذهب إلى الحانوت.

- سيسهر "روبرت" علي.

- ألم يكن يستطيع أن يفعل ذلك في الفندق؟

- كلا.

اغلق "بول" عينيه. كان الشحوب يكسو وجهه ومع ذلك لم يخف مدى قوة وحدة فكيه.

بدا منهكا. عندما نظرت "كاتي" إلى ساعة يدها وجدت انها لم تتجاوز التاسعة. بعد كل ما حدث ظنت ان الوقت تجاوز منتصف الليل. مالت نحو "بول". قالت له برقة:

- يجب أن تتناول شيئا ساخنا يا "بول".

- ربما فيما بعد.

استغرق في نوم خفيف وانتهزت "كاتي" الفرصة لتذهب إلى حجرة المعيشة حيث اعدت الأريكة للنوم وكانت بين لحظة واخرى تنهض لترعى "بول" والذي كان نومه المتقلب يقلقها. وحوالي الساعة الواحدة صباحا، سندته حتى يستطيع أن يحتسي مشروبا ساخنا من الأعشاب مع قرص مهدئ. اعتقدت انه عاد إلى النعاس فذهبت إلى الحجرة الثانية عندما ناداها:

- أين انت ذاهبة؟

- لقد اعددت لنفسي فراشا على الأريكة.

- ابقي هنا من أجلي.

- هذه ليست فكرة طيبة فقد أتحرك وأضرك.

القى الأغطية من فوقه وقال:

- إنني افضل الضرر على أن تبعدي عني.

جلست على المقعد ذي المساند بجوار السرير وقد اسعدها ذلك لانه غرق بسرعة في النوم وسرعان ما نامت هي بدورها.

وصل "روبرت" في الصباح مبكرا. واصر "بول" على أن يصحب "كاتي" بالسيارة إلى حانوتها. رات الشابة انه من غير المجدي أن تحتج نظرا لحالة "بول" الضعيفة. تركته يذهب بها إلى الحانوت ويعود بها

في المساء. عندما وصلت إلى شقتها وجدت انه ركب تليفونا. قال لها "بول" وهو فوق السرير:

- كان يلزمني تليفون.. من أجل الأعمال.

- هل تقول لي: إنك ستقوم بالأعمال اليوم؟

قال معترضا:

- ليست كثيرة.

كان يبدو عليه الإحباط وكانت رموشه الكثيفة تلقي ظلالها على خديه الشاحبين. كان يتحدث بصعوبة وكانما هذا النهار انهكه. سالته:

- ماذا قال الطبيب؟

- ليس الكثير وسيعود غدا.

- ألم يعلنك مثلا انه كان من الأفضل لك لو بقيت في المستشفى؟

قفل جفونه واغمض عينيه رغما عنه. ضغط على يد الشابة وهمس:

- لا.. فلا تقلقي.

- هذا صعب الا افعله. كل ما حدث لك إنما كان بسببي.

لم يجب "بول" إلا بابتسامة ضعيفة. قالت:

- هل تشعر بالجوع؟ ساقوم بإعداد العشاء.

- لا.. لقد حضرت "آن" وجعلتني اكل.

- أوه!

- اذهبي وتناولي العشاء. يوجد لحم بقري مع جزر مسلوق. ما عليك سوى أن تسخنيه.

- لحم بقري مع الجزر؟

- "آن" هي التي أعدته حسب وصفة قديمة للعائلة. إنها تدعي أنه يقضي على كل الأوجاع خاصة جروح الأسلحة البيضاء.

- لدي أنا أيضا وصفة قديمة: شاي "كاناكيتكت".

- وما شكله؟

- لست أدري كيف أصفه لك. على أية حال إنه يشفي كل شيء. ولكني لا أعتقد انه مغذ. يجب إذن أن نكتفي بوصفة "آن".

- يمكنك أن تعدي لي هذا الشاي غدا.

انتظم تنفس "بول" وعندما وجدت "كاتي" انه غرق في النوم نهضت وطبعت قبلة رقيقة على جبينه وهمست:

- عندما تتحسن صحتك.

نامت هذه الليلة أيضا بجوار السرير وهي منتبهة تماما لكل حركة من حركاته. كلما ارادت أن تبتعد عنه زادت رغبتها في الاقتراب منه وكلما اقتربت منه زاد هدوءه.

عندما عادت من الحانوت في مساء اليوم التالي. وجدت جهاز تليفزيون عريض الشاشة موضوعا عند طرف السرير. سالته:

- ما هذا؟

ابتسم "بول" داخليا من لهجتها المتشككة وهو يعلم جيدا أنه لو أخبرها أنه اشتراه من أجلها فإنها سترفضه بلا نقض ولا إبرام. قال مازحا:

- إنه صندوق ضخم به صور جميلة بالألوان الطبيعية وأشخاص يتحركون ويحدثون ضجة.

- وأنت. هل تشعر بالتحسن؟

- قليلا. لقد نمت جيدا. ولكن زيارة الطبيب لي انهكتني. وبالمناسبة لقد غير لي الضمادة. إنه اكتشف أن كل شيء بخير.

- والألم؟

امتعض وجه "بول":

- يالك من رفيقة مخلصة لن تدعني في حالي. كذلك الحال مع الألم لا يريد أن يتركني. لقد أخذت قرصا مهدئا. وساخذ قرصا آخر بعد ساعتين.

- خذه في الحال إذا كنت تشعر بالألم.

- عندما أتناول هذه الأقراص أجد أن رأسي أصبح محشوا قطنا. والليلة أريد أن أكون منتبها قليلا.

اقتربت "كاتي" منه وتحسست درجة حرارة جبينه وسعدت عندما وجدت أن حرارته منخفضة. قالت له بحدة:

- ما هذا الاستظراف. كف عن لعب دور البطل.

- أنا بطل! لقد شفيت من أن أكون بطلا بعد الآن.

- أتمنى ذلك. لقد كان من الممكن أن تفقد حياتك.

- وأنت كذلك.

دهشت "كاتي" من حرارة قلقه عليها والتي بدت في كلماته. كانت سعيدة بذلك ولكن وجوده كان يذكرها دائما بما لا يمكن أن يحدث. أعلنت:

- اعتبارا من اليوم سنقدم خدمة "المراقبة الآمنة" في القرية .

- حسنا جدا.

- أعتقد أنك الذي قرر ذلك؟

هز رأسه وعلى وجهه تعبير لا يسمح بأي نقاش ومن ناحية أخرى فكرت الشابة أنها لا تستطيع أن تعارض قرارا سيستفيد منه المستأجرون الآخرون بالمكان وعددهم أحد عشر. قالت:

- أما عن هذا الجهاز...

- إنه من أجلي. إنني أحس بالضجر في أثناء النهار كله وأنا مستلق هكذا بمفردي. أحب أن أشاهد مباراة جيدة لكرة القدم وأعرف نتائج المضاربات في البورصة.

بالتأكيد من الغريب جدا أن يقضي رجل مثله يتميز بالنشاط والحيوية - كل وقته في السرير دون حركة. أضاف:

- وكذلك نشرة الأخبار الجوية.

ازداد اهتمام الشابة. كانت وهي تدرس في الجامعة لا تجد الوقت لمشاهدة التليفزيون ومنذ أن جاءت إلى "دلاس" لم تكن لديها إمكانات شراء جهاز. قالت:

- لقد نسيت أنهم يتحدثون عن الجو في التليفزيون. في أي ساعة؟

- النشرة التالية ستكون في الساعة العاشرة.

- لايزال أمامها ساعتان!

اضطر "بول" من شدة الألم أن يكتم استمتاعه برد فعلها الطفولي.

- لقد طلبت "آن" من الطاهي الذي يعمل في أحسن مطبخ بالمطعم المفضل لدي أن يعد لنا فخذا مطهوة على البخار. وهي الآن في الفرن.

فزعت "كاتي":

- يا إلهي! في ذلك الفرن القديم الصدئ غير مضبوط النيران. لابد أن اللحم سيجف داخله.

أحس "بول" بأن قواه تنسل منه. استطاع بصعوبة أن يرفع يده اليسرى السليمة ليطمئنها.

- كل شيء على ما يرام. لقد أحضر "روبرت" "فرن ميكروويف" جديدا.

فضلت ألا تعترض. ألقى "بول" برأسه على الوسائد وأغلق عينيه وسأل في صوت منخفض:

- احضري طبقا هنا. سنتعشى معا. وبعد ذلك سآخذ القرص.

فيما بعد كان رجل المال والصناعة على وشك أن يستسلم للنوم عندما سمع "كاتي" بجواره تطلق صيحة فرح. سألها دون أن يفتح عينيه:

- ماذا هناك؟

- إن نشرة الأرصاد الجوية تعلن أنه ربما يتساقط الثلج بعد ثلاثة أيام.

###

كان "بول" مسترخيا في راحة في سريره. قام بعدة مكالمات تليفونية.

كان من لحظات قد تحدث مع "جيمس ستيل" رئيسه وصديقه من زمان.

- قل لـ"سوزي" يا "جيمس" ألا تقلق علي. إن حالتي تتحسن يوما بعد يوم.

أجابه "جيمس":

- الحمد لله. عندما علمنا بالخبر وبما حدث لك طلبنا إعداد الطائرة.

- لا داعي لتحمل مشقة الحضور إلى هنا. فأنا الآن بين أيد أمينة.

- أعرف فقد أخبروني.

- وعندما يعلم السيد "جيمس ستيل" فإن الرجال يبدءون من أنفسهم يرتعدون. لقد كنت أتساءل: لماذا كان الطبيب لطيفا معي؟

- أنت تبالغ.

- بل هذا أقل من الواقع.

- كم من الوقت تظن أنك ستقضيه في بيت "كاتي"؟

- لو كان الأمر بيدي لما سعدت بطعنة المدية. لقد جاء هذا في الوقت الذي كانت علاقتنا تمر فيه بأسوأ مراحلها، وأتعشم أن يتمكن الوقت - الذي نقضيه معا - من رأب الصدع.

- آه.. أنت تستغل الموقف؟ أنا موافق.

غاص "بول" وسط الوسائد وهو يشعر بالرضا.

- لقد كنت واثقا من موافقتك لأنه في النهاية ستكون أنت النموذج الذي سأحتذي به.

- أتقصد أن تقول: عندما قمت باختطاف "سوزي" لأنقلها إلى "كاليفورنيا"؟ حقيقي أن الأمر نجح بالنسبة لنا نحن الاثنان. في كل يوم خلال السنوات الثمانية الماضية كان أسعد من اليوم السابق. إن زواجنا هو نعمة من السماء. وأنت ستتاح لك الفرصة أيضا.

أحس "بول" بذراعه المصابة تؤلمه بشدة. حاول أن يجد أحسن وضع ثم استأنف الحديث:

- إن الوضع بالنسبة لي يختلف يا "جيمس". لقد وقعت أنت صريع حب "سوزي" من أول نظرة.

- لا تحاول أن تقول لي: إنك لست عاشقا لـ"كاتي" عندما حدثتنا عنها في آخر زيارة لك كنا واثقين أنك أخيرا...

- "سارة"؟

- ... لقد ماتت من خمس سنوات. وشعورك بالذنب لم يعد له وجود.

لم يكن هناك شخص آخر غير "جيمس" يستطيع أن يحدث "بول" بهذه الطريقة. وبسبب صداقته لم يصدم. استأنف الحديث:

- ومع ذلك "سارة" كانت زوجتي ولا أستطيع أن أفهم: لماذا كانت تحبني؟

- لقد كان ذلك هو الماضي. لنتكلم عن الحاضر. من "كاتي"؟

- المرأة التي أريدها.

انتظر "جيمس" قبل أن يستأنف حديثه. لاحظ "بول" شيئا غريبا في نبرة صوته الذي أصبح باترا:

- إنني لا أتصور أنك تتصرف تصرفا سيئا معها يا "بول". أنا و"سوزي" نتحرق شوقا لمعرفة "كاتي".

- ستعرفانها في يوم أو آخر.

###

أشارت "كاتي" في غضب فكاهي إلى جدول المواعيد الذي ظهر على شاشة التليفزيون:

- انظر إلى هذا! إنه غير معقول. إن السحب تبتعد نحو الشمال.

- أنا آسف.

جعلتها لهجة "بول" المتهكمة تدير رأسها نحوه وسعدت عندما لاحظت أن الدماء عادت إلى وجنتيه مرة ثانية وعيناه يقظتان. قالت:

- تصور، هناك سحاب في الشمال.

- أعرف يا "كاتي" المسكينة. ولكن يجب عليك أن تسعدي بذلك. لأنه لو سقط الثلج هنا فإنك لن تجدي زبونا واحدا في "دلاس".

- ربما لا يجب أن تصدق هذا. إن الثلج قد يجعل أهالي "دلاس" يريدون الاحتفال بعيد الميلاد المجيد ووقتها ساحصل على زبائن كثيرين.

- لا يا "كاتي" إن الثلج يخيف الناس في "دلاس".

تأملها وهو يبتسم. كانت ترتدي أحد بنطلوناتها "الجينز" المفضلة عندها و"تي شيرت" عليه صورة "مايكل جاكسون". كانت مكورة على نفسها عند قدميه فوق السرير وبدت وكأنها قطة صغيرة. لم يعد يبدو عليها الذعر من الاقتراب منه. كان يود أن يشعر بأن وجوده معها أصبح أمرا طبيعيا وهكذا عندما يشفى لن تطرده. إن صديقه لا يشك في أنه عاشق لـ"كاتي". أغلق "بول" عينيه.. إن أي رجل من السهل أن يقع في هوى امرأة مثل "كاتي". و"بول جارث" غير قادر على الحب. لابد أن يبحث عن السبب في أعماق عقله الباطن وهو مقتنع بذلك من زمن بعيد. ومع قناعته بعدم قدرته على الحب في أعماق نفسه إلا أنه يفعل كل ما يستطيع ليبقى مع "كاتي". إذا لم يستطع أن يحبها فعلى الأقل يستطيع السهر عليها ويتأكد من أنه لا ينقصها شيء أبدا. لقد كان مقتنعا أنهما سيكونان سعيدين معا. على أية حال إنه لم يفهم أبدا: لماذا يكتب اليائس الكثير عن الحب؟

فتح عينيه ببطء ليرى عيني "كاتي" معلقتين بشفتي المذيع الذي يعلن عن الأيام المشمسة. قالت وهي تتنهد:

- ربما كان من الأفضل أن أبحث عن قناة ثانية.

- لم أر في حياتي شخصا تسيطر عليه فكرة الطقس.

- لست مضطهدة بفكرة الطقس. لقد ولدت وسط السحاب والثلوج وهي تغطي شعري.

هذه المرة انفجر "بول" ضاحكا ثم طمأنها:

- انتظري فلا يزال الوقت مبكرا في الموسم. وربما حصلنا على سنتيمتر أو اثنين من الثلج في يناير.

- في يناير؟! أنت مجنون.. سيكون الوقت قد فات يجب أن نحصل على الثلوج في عيد الميلاد المجيد.

حاول "بول" أن يخفف ألمه وأخذ يحك ذراعه اليمنى. إن لديه شعورا بأن عيد الميلاد المجيد يأتي مبكرا هذا العام.

***

انتهت "كاتي" من خدمة أحد العملاء عندما دخلت "ميليسا" الحانوت وبعد أن حيتها سألتها:

- كيف حال "بول" اليوم؟ لقد اتصلت به أمس وقال لي: إنه يشعر بتحسن.

سعدت "كاتي" برؤية الشابة اللطيفة وابتسمت لها في رقة ثم أجابت:

- إنه في طريق الشفاء ولكنه لا يستعيد صحته إلا ببطء.

- يجب توقع ذلك. لقد أخبرني أن الجرح عميق.

- نعم. إن الطبيب يأتي كل يوم ليراقب التطورات.

علقت "ميليسا" وهي ترتجف قليلا:

- غير معقول أن تحدث مثل هذه الأمور.

وافقتها "كاتي". إنها لم تستطع أن تنسى هذه الذكرى الرهيبة لتلك المدية وهي تنغرس في لحم "بول".

لمست "ميليسا" كتف "كاتي" في حركة ودية وقالت:

- لابد أن الأمر كان قاسيا عليك. كيف حالك؟

كانت "كاتي" مشغولة بصحة "بول" فلم تفكر أبدا في نفسها. أجابتها بطريقة آلية:

- لا بأس. أنا لم أصب بأي جرح.

- الحمد لله.

كانت "ميليسا" تاتي إلى الحانوت عدة مرات وفي كل مرة كانت تصحب شخصا ليشتري شيئا. اما هذه المرة فقد جاءت وقد بدا عليها انها تبحث عن شيء لها. قالت "كاتي":

- هل يمكن أن أساعدك؟

- أريد أن اقيم مركزا تجاريا على مائدتي.

- تصنعين؟

- إنني لا أريد "ليلي" أن تسبقني. إنني ساقيم حفلا صغيرا لتزيين شجرتي في نهاية الأسبوع القادم وأريد أن يكون الحدث بارزا. عادة ما أستدعي خبير ديكور ولكنك اقنعتني يا صديقتي العزيزة وأريد أن أصنع كل شيء بنفسي.

- هل تفكرين في شيء معين؟

- أولا سأحتاج إلى إكليل طوله متران على الأقل.

لقد أثبتت الشابة الحسناء أن لديها أفكارا رائعة. اشارت لها "كاتي" إلى الأماكن التي تجد فيها المواد المطلوبة. اختارت "ميليسا" الأشياء والألوان بدرجة تنم عن ذوق رقيق.

تتابع دخول الزبائن، وكانت "كاتي" تذهب من حين لآخر لترى إلى أي حد وصل الإكليل. عندما انتهت "ميليسا" تمطت وقد أسعدها مجاملات "كاتي" لها.

- شكرا يا عزيزتي. وبمناسبة هذا الحفل الذي حدثتك عنه. فمن المفهوم أنك و"بول" مدعوان إليه.

- لست أدري. "بول"...

- فهمت. لقد ترددت وبعد أن فكرت كثيرا وجدت أن ذلك سيفيد "بول" كثيرا. إن الوقت يجري ولا يجب أن يستمر على هذا الحال.

دهشت "كاتي" بعض الشيء من فكرة أن "ميليسا" لديها الوقت

المتسع، ردت عليها:

- نعم. إن هذا سيكون جميلا جدا. إذا احس انه قوي بما يكفي وإذا أعطاه الطبيب موافقته.

رفعت "ميليسا" حاجبيها دهشة:

- الطبيب؟

- إن "بول" لايزال ضعيفا كما تعلمين.

- لا.. لا...

لاحظت "كاتي" التردد في صوت "ميليسا" مما أزعجها وسارعت بسؤالها:

- هل نتحدث في نفس الموضوع؟ هل صحة "بول" هي التي تجعلك تترددين في دعوته؟

سقطت لفافة أشرطة من يد "ميليسا" كانت تفحصها وحاولت أن تمسك بها قبل أن تسقط دون جدوى. تدحرجت اللفافة على الأرض وتركت الشريط مفرودا على الأرضية. ضحكت وهي تعتذر:

- أرجو المعذرة. إن الأمر يتطلب وقتا طويلا لإعادة لف هذا الشريط!

- "ميليسا".

سمعت صوتا يناديها فاضطرت "كاتي" أن تنشغل على مضض بالزبون الجديد دون أن تحصل على إجابة على سؤالها. وبعد فترة بدت لها طويلة جدا عادت لتنضم إلى "ميليسا" التي انتهت من عمليتها. جلست امامها وهاجمتها:

- هناك شيء لا افهمه. لماذا تظنين أن حضور الحفلة سيفيد "بول"؟ وإلى أي شيء تلمحين بقولك: إنه يجب ألا يستمر على هذه الحالة؟

حدجتها "ميليسا" بنظرة شاردة وتظاهرت بالاهتمام بالإكليل ثم قالت:

- انا احبك كثيرا يا "كاتي". انت احب فتاة إلى القلب قابلتها في

حياتي. ولن يسعدني شيء أكثر من أن أراك مع "بول". إن "بول" صديقي من وقت طويل ولا أريد أن أخون ثقته في. يجب علي ألا أتحدث عن ذلك كثيرا ولكني أعتقد. حسنا.. إنه من الأفضل ألا نثير هذا الموضوع.

- بالتأكيد.

انتهى الأمر بـ"كاتي" إلى التساؤل: لماذا كانت تشعر بالفضول الشديد؟ على أية حال هي تعرف مسبقا أنه لا يمكن أن يحدث شيء بينها وبين "بول". إنه لا يحبها. إنه يرغبها وهذا كل ما في الأمر إنه مجرد افتتان. إنه يقيم عندها لمجرد الحاجة وعندما يستعيد صحته سيمل التجديد الذي تمثله علاقتها به ثم سيختفي. ومع ذلك سألت صديقتها:

- أفهم أنك لا تريدين أن تحدثيني عن "بول". ولكن ربما حدثتني عن "سارة".

- "سارة"؟

- إن "بول" لا يتحدث عنها مطلقا.

- هذا طبيعي! ألا تظنين ذلك؟ لقد مرت خمس سنوات على وفاتها.

- نعم بالتأكيد. ولكنه لابد أنه أحبها إلى درجة أنه لم يتزوج بعد وفاتها.

أطلقت "ميليسا" زفرة طويلة وأعلنت:

- "سارة" كانت أحسن صديقاتي ولست أنا التي أقول: إن كل الناس كانوا يعشقونها. لقد كانت رائعة. وقد أثر موتها كثيرا في "بول" أيضا.

أحست "كاتي" بالضيق فترة وكأنها اخترقت منطقة محمية والدخول فيها ممنوع. أعلنت "ميليسا":

- هأنا قد انتهيت.

نظرت إلى إكليلها في رضا ثم استأنفت الحديث.

- إنني أتعجل رؤيته فوق المدفأة وستحكمين عليه بنفسك في أمسية

الحفلة. لأنك ستأتين.

- لو حضر "بول".

- سيحضر "بول" حتى لو اضطررت لإرسال سيارة إسعاف لإحضاره.

- في هذه الحالة سأحضر. آه.. هناك شيء آخر!

- ماذا؟

- ماذا أرتدي؟

- كوني على حريتك التامة. ومعظم السهرات العائلية نكون فيها على راحتنا.

وجدت "كاتي" صعوبة في كتم ابتسامتها.

الفصل السابع

قال "بول" مقترحا:

- لماذا لا تقدمين لنا شيئا لنتسلى به في أثناء مشاهدة المباراة؟

- مثل ماذا؟

منذ أن كان "بول" لدى "كاتي" لم تعد الشابة تطهو شيئا. ويمكن القول: إن أحسن مطاعم في "دلاس" كانت تسارع بإرسال أحسن أطباق لديها إلى المريض. وفي كل مساء عندما تعود من الحانوت كانت تجد عشاء شهيا ودسما في انتظارها. ولم يكن عليها سوى أن تسخنه في الفرن "الميكروويف". وكان أصدقاء "بول" يتبارون هم أيضا فيما بينهم لتغذيته. ولم ترهم "كاتي" أبدا ولكنها كانت تعرف أنهم كانوا يحضرون عندما تجد ربطات وعلبا جديدة في المساء. تساءلت: ماذا يمكن أن يظن هؤلاء الناس وهم يرون "بول" يستعيد صحته ونقاهته في شقة متواضعة لفتاة هم لا يعرفونها. وكانت تطرد مثل هذه الأفكار.

بدأ الناس يتوافدون أكثر فأكثر على القرية وكان الزبائن يتسكعون داخل كل الحوانيت حيث أصبح أصحابها لا يعانون البطالة. أما بالنسبة لـ"كاتي" فكان الأمر شبه معجزة. كان الناس قد بدءوا أعمال الترميم للقرية الأمر الذي أعطى مزيدا من الحيوية للمكان. قال لها "بول":

- يوجد فطيرة اللحم بالبيض في الفرن وهي تصبح صالحة للأكل خلال ثلاث دقائق ساخنة ومقرمشة وأرجوك ألا تعطي الفارين منها بوجه خاص. حيث يوجد بها فلفل أسود وهو ضار بصحتهما.

- لست أنا التي تقوم بتغذية الفارين مؤخرا. لم يسبق لي أن رأيتهما سمينين وفي صحة جيدة.

اعتذر وعلى فمه ابتسامة شعور بالذنب:

- ألم تقولي لي مرة: إن من حقهما أن يعيشا؟

- بلى.. بلى.

بعد عشر دقائق عادت "كاتي" تحمل صينية وضعتها عند الطرف الأسفل من السرير. لم تكن تهتم أبدا بالرياضة ولكن "بول" أصر على أن تشاهد معه مباراة في كرة القدم. وجدت أنه من المثير أن رجلا في مثل أهميته ينفعل هكذا وهو يرى الكرة يجري وراءها بعض الرجال.

مدت الصينية بينهما ثم سألته:

- هل هذا ما كنت تريده؟

- نعم وشكرا وأنا آسف لأنني كلفتك بكل هذا العمل.

- عمل؟ إنني لم أفعل سوى تسخين الأطباق.

- ولكني غزوت شقتك. وأفهم أن وجودي يكبلك بالأعباء.

نظر إليها بعينين رأت فيهما حنانا غير مشكوك فيه. إن البريق الرمادي الذي يلمع فيهما يحيره منذ اليوم الأول للقائهما. قالت له:

- بعد وصولك لم أعد أعمل سوى أقل القليل.

همس في هيام:

- أريد أن تعرفي كم أقدر لك لطفك.

كانت هذه أول مرة ترى في عينيه كل هذا الحنان منذ أن دخلت مكتبه واكتشفت أنه رئيس شركة "هايز". حاولت أن تقنع نفسها أن ذلك لا يشكل أهمية بالنسبة إليها. إنها لا تريد أن تبادله عواطفه. رغم وجودهما معا.

فجأة قالت بصوت مرتجف محاولة تغيير الموضوع:

- لقد بدأ اللعب.

غاصت بين الوسائد وأخذت تشاهد المباراة ولكن ذهنها كان في مكان آخر مركزا على الرجل الممدد على السرير بالقرب منها. كان من الواضح أنه لم يستعد صحته بعد ولكن كل يوم كان يزداد تحسنا ملحوظا. إنه لم يستعمل ذراعه اليمنى بعد ولكن جسده أصبح في حالة جيدة.

كانت في الأيام الماضية تستيقظ قبله. كانت تنهض بسرعة. لم تستطع أن تغير مجرى أفكارها التي كانت تعود وتدور حول "بول" في إلحاح واضطهاد. حاولت أن تشترك في الاهتمام باللعبة والتعليق عليها. سألته:

- أي الفريقين تشجع؟

- فريق "كاليفورنيا" بالتأكيد.

- كم أنا ساذجة! لقد قلت لي: إنك ولدت في "كاليفورنيا" ولهذا السبب تعرف القيادة.

ضحك وأمسك بيدها وضغط عليها بقوة. قالت:

- من أي جزء في "كاليفورنيا" أنت؟

- من "سانتا باربرا" ووالداي يسكنان هناك وأعمامي وعماتي وأبناء وبنات أعمامي أيضا.

- حقا؟

- يبدو أنك مندهشة لاكتشافك أن لي والدين. إنني أذهب لزيارتهما في كل مرة أذهب فيها إلى "كاليفورنيا". إنهما يحباني كثيرا.

جاء دور الشابة لتضحك عاليا. استمر في الحديث:

- فهمت. إنك تفكرين في التخلص مني فور أن أتمكن من الاعتماد على نفسي.

كان يعاكسها ولكن بدا بعض الحدة في صوته جعلتها تشعر بعدم الارتياح. لم ترغب أن تستمر على هذه الوتيرة. فسألته فجأة:

- إنك لا تشاهد مباراتك؟

- يعرض الآن إعلانات ودعاية.

- أوه! أين تلقيت دراستك؟

في جامعتي "لوس أنجيلوس"، "هارفارد" وهناك ولدت صداقتي مع "چيمس ستيل".

قالت معترفة:

- يا للحظ السعيد!

- إنه وزوجته يرغبان كثيرا في التعرف عليك.

أوشكت أن تسقط من فوق السرير وصاحت:

- ماذا!

- هذا أمر طبيعي. إنهما يعدان من أقرب أصدقائي.

- ولماذا يريدان أن يتعرفا علي؟

- لست أدري على وجه التحديد. لا شك أن ذلك بسبب كثرة حديثي عنك.

استرخت فوق الوسائد وهي مضطربة من فكرة أن "چيمس ستيل" الشهير والمهم جدا سمع عنها ولديه رغبة في لقائها. قالت:

- لقد بدأ اللعب.

- هل يمكن أن تتكرمي وتعطيني كوبي؟

- نعم.. بالتأكيد!

ناولته كوب العصير فاحتسى بضع جرعات. ثم قال:

- إنهما شخصان ساحران.

- ساحران.. مثلك.. أليس كذلك؟

دهش "بول" من تعكر مزاجها وحدجها بركن عينه. انهمك في الإرسال الرياضي ورأى بسعادة أن فريق "كاليفورنيا" على وشك الفوز ولكنه لم يعبر عن فرحته بصوت عال.

عقدت "كاتي" ذراعيها على صدرها وقد علا وجهها تعبير العناد. لقد قال لها: إن أفضل صديقين له يريدان رؤيتها وقد أغضبها ذلك. وعندما أعاد التفكير بإمعان تذكر أنها قالت له قبل أن يصاب: إنها مصممة تماما على إنهاء علاقتهما وهذا ما ستفعله فور استعادته لصحته.

وحتى يتم ذلك فإنها تحاول أن تظل بعيدة عنه. هل تصرف تصرفا حسنا عندما أراد أن تصبح ملكه رغم كل شيء؟ لو تركها ترحل فهل ستكون أكثر سعادة؟ إنه ليس واثقا من ذلك. إن "كاتي" تعتقد في قرارة نفسها أن عليها أن تظل معه حتى لا يقلق عليها من الطريقة التي تعيش بها. ومن ناحية أخرى لو ترك المكان فسيكون لديها كل الفرص للقاء الفتى الذي سيقدم لها الحب الكبير الذي تستحقه. لا! إنه لا يستطيع أن يتركها تذهب. ليس الآن ولا مستقبلا.

أشار إلى الكوب الذي يمسكه بيده السليمة وقال:

- "كاتي"! هل تتكرمين وتعطيني قطعة من الفطير؟

كان تعبير الشابة يدل على الموافقة ولكنها أخذت قطعة من الفطيرة وقربتها من شفتي "بول". ابتلعها مرة واحدة وسحبت هي يدها بسرعة وكأنها لمست نارا حامية. بعد لحظات استعادت هدوءها . حدجته بنظرة مؤثرة ولكنها مرة ثانية قدمت له قطعة من الفطير ولم يتردد في التهامها بشراهة. تحول لون عيني الشابة من الزمردي إلى الأسود

فارتجفت يدها. ظل "بول" فاتحا فمه وكأنه يريد المزيد من الفطير. أخذ كل منهما يقيس الآخر بنظراته. بدت "كاتي" وكأنها مشلولة دون حركة ولا نفس ثم اجتاحت جسدها كله رجفة شديدة وهي تدس قطعة أخرى من الفطير في فمه.

كان يتمتع بطعم الفطير دون أن تغادر عيناه وجهها. وجد أنها تتابع المباراة من خلف رقبته. كانت مشاهدة المباراة عذرا حتى تكون بجواره أكبر وقت ممكن. عندما أراد مداعبتها قفزت فجأة من فوق السرير وهي تصرخ:

- ليست لدي أي رغبة في مشاهدة المباراة.

لم يستطع أن يمنعها. جرت حتى نهاية الغرفة. ظلت ساعتين بعد ذلك تحاول فرز الخرز الذي أحضرته معها من الحانوت ولكن دون فائدة.

تساءلت: لماذا تبدو الأمور صعبة إلى هذه الدرجة؟ لماذا لا تستطيع الابتعاد عن "بول"؟ لماذا يجذبها بهذه القوة؟

سمعت صوت التليفزيون في الحجرة المجاورة ولكن "بول" لم يناد عليها. لم تعد تتحمل أكثر من ذلك فدخلت حجرتها لترى إن كان في حاجة لشيء. وجدته مستغرقا في النوم. بدا لها فجأة أكثر شحوبا ومع ذلك كان يتنفس بانتظام. لعنت خيالها الجامح.

عندما عادت بعد ربع ساعة إلى نفس الحجرة كان مستيقظا. وكان يتصرف وكان شيئا لم يكن بينهما. أخذت ترتب الأشياء وهي تسأله بلهجة عدم اكتراث:

- بماذا تشعر الآن؟

- متخشب. لقد نمت طوال النهار وأحتاج إلى بعض الحركة.

- فكرة طيبة. هل تحب أن تتناول العشاء في حجرة المعيشة.

هز رأسه ودلك صدره ثم أعلن:

- بكل سرور. ولكن هل يمكن قبل ذلك أن آخذ حماما؟ إنني أحس

بالتكسير في كل جسدي.

- حمام؟ إن "روبرت" هو الذي يساعدك في أخذ حمامك منذ أن كنت مريضا!

- نعم. هل نسيت أن اليوم هو السبت؟ وأنه لن يحضر قبل يوم الاثنين. أنت التي ستساعدينني .

- أنا؟!

- إنني لا أستطيع أن أفعل ذلك بمفردي يا "كاتي". إنني لا أستطيع أن أستخدم ذراعي اليمنى ولابد أن أحافظ على الرباط جافا.

إن كلامه منطقي ولكنها لا تصدق ما تسمعه .

- يمكنك أن تساعديني يا "كاتي".

- لست أدري لأنه وضع محرج.

- إنني لن آخذ حماما كاملا وإنما مجرد شطف لذراعي السليمة ووجهي وشعري وساقي.

- إذا كان الأمر كذلك فلا مانع عندي.

###

كان الماء صافيا ودافئا وحاولت "كاتي" ألا يصل الماء إلى الضمادة. استند "بول" على حافة "البانيو" وأغلق عينيه. حاولت أن تثبت يدها وهي تستخدم "الليفة" والصابون ثم الماء بعد ذلك لشطفه. قال لها:

- أرجو ألا يستمر ذلك طويلا فالعشاء سيبرد.

ظهرت ابتسامة غامضة على طرف فمه جعلتها تحتار في فهم مغزاها. كانت تردد في نفسها أن عليها أن تتماسك. أحست بأن الهواء ينقصها. إنه لا يحاول أن يسهل عليها مهمتها. أخيرا قالت له بصوت أجش:

- لقد أصبحت نظيفا ويمكنك أن تكمل الباقي بمفردك.

###

انحنت "كاتي" على الشجرة الصغيرة الخاصة بعيد "الكريسماس"

والتي أحضرتها معها فوق الدراجة من الحانوت. ورغم اعتراضات "بول" و"روبرت" فقد أصرت على الذهاب إلى العمل والعودة منه بالدراجة.

لقد مرت عدة أيام منذ واقعة الحمام ومن يومها وهي تصر على النوم فوق الأريكة. وإذا كان "بول" لم يعلق بشيء فإنه لم يعد يترك مراقبتها بعينيه لحظة واحدة وكأنه يحاول أن يستشف سرها. أحست بأنها تعامله بجفاء وكانت تعاني التوتر القائم بينهما. ولكن ماذا تستطيع أن تفعل غير ذلك؟ إنها لا تريد أن تعرض نفسها لموقف تندم عليه. إنها إذا استسلمت مرة واحدة فلن تواتيها الشجاعة بعد ذلك عندما تراه يرحل. لم تدهش الشابة وهي تراه يركز نظراته عليها بهذا العمق الجديد. تضايقت فقالت له بحدة:

- ما رأيك في شجرة عيد الميلاد المجيد؟

- إنها أقبح شجرة رأيتها على الإطلاق.

ذهلت ورفعت حاجبيها دهشة وقالت محتجة:

- صحيح أنها ليست قطعة تمثل الجمال. إن الجذع مقلوب والفروع غير متساوية ولكن عندما رأيتها بين الأشجار الأخرى أغرتني كثيرا أن آخذها وأزينها مثل بقية الأشجار وأن أجعلها محبوبة. لقد كان الناس يشاهدونها ويسخرون منها ولم أستطع مقاومتها. صممت أن أشتريها ولم تكن المسكينة غالية الثمن. لقد كانت من ناحية أخرى لها جذور وستعيش معي.

- على أية حال إنها غالية الثمن جدا.

تضايقت من مسلكه فاجتاحتها رغبة شديدة في الدفاع عن شجرتها. ردت هجومه:

- إنها ستصبح فاخرة. لقد أحضرت أجمل أكاليل لأزينها بها وسأغرسها في أصيص ضخم وسأرويها حتى تصبح سعيدة.

رد عليها:

- افعلي ما تريدين.. كيف لي أن أمنعك؟ أما من ناحيتي فإنني لا أستطيع أن أفهم: لماذا تبذلين كل هذا العناء من أجل هذا المسخ؟

- هل تشعر أنك بخير يا "بول"؟ إنك تبدو منهكا فاذهب لتتمدد.

حك عينيه قبل أن يشرح:

- أنا بخير. واعذريني على سخريتي لأنني لا أحب هذه الأعياد.

- مثل الكثيرين من المحرومين في هذا الوقت من السنة.

- من الواضح أنك لست واحدة منهم.

- لا.. لقد أحببت دائما "الكريسماس" إنها فترة ساحرة مليئة بالمعجزات والسعادة والثلوج.

- متى ستتنازلين عن فكرة الثلوج؟

- لقد أعلنت هيئة الأرصاد الجوية عن مجيء موجة جديدة باردة آتية من الشمال يبدو أنها تبشر بالثلوج.

- يجب أن أعلنك بخبر سيئ يا "كاتي". في المرات النادرة التي يكون الجو فيها سيئا فإن رياح الثلوج تأتي من الجنوب الغربي.

- أوه! ألا ترى هذا كم هو غريب؟!

كانت لهجته الساخرة تلذعها وهو يسألها:

- هل الثلوج مهمة لهذه الدرجة؟ هل تشعرين حقا بالحنين إلى الوطن؟

عادت للعمل بشجرتها وهي تلاطفها وأخيرا استقر رأيها على الرد:

- إن حاجتي إلى الثلوج لا شك تشبه الحنين إلى الوطن. إنني أحب بالتأكيد لو استطعت أن أذهب إلى بلدي وأقابل والدي وأصدقائي وهذا طبيعي. إن الأعمال تنطلق بسرعة السهم وإذا سارت الأمور كلها على ما يرام أستطيع مواجهة زيادة الإيجار.

- أرجوك أن تنسي هذا الإيجار اللعين.

لم تستدر نحوه. إن الإيجار هو الموضوع الذي لا يمكن أن يتفقا عليه أبدا مثل موضوع الثلوج.

- خبريني يا "كاتي" لماذا تبدو الثلوج مهمة لك إلى هذه الدرجة؟

كان صوته قد رق وشابه بعض التضرع.

بدا الامتعاض على وجهها وهي تستدير نحوه.

- لماذا يحب بعض الناس الشوكولاتة وآخرون يحبون اللون الأحمر؟ لا يوجد أي سبب. إنني أحب الثلوج وأحب النزهة فوقها والتزحلق فوقها. إنني لا أرى فيها أي مضايقات ولم يسبق لي أن قضيت "الكريسماس" بدون ثلوج.

كان منصتا لها بانتباه وقد استند ذقنه على كفه. قال دون أن يبدو عليه أي انفعال:

- لن تكون هناك ثلوج هذا العام.

- ربما.

أجابت باختصار وهي حائرة بذلك التعبير الذي لا تعرف معناه في عينيه. ساد صمت طويل بينهما والذي قطعه "بول" بقوله:

- لقد حضرت "ميليسا" اليوم.

ألقت "كاتي" نظرة شاملة على محتويات حجرة المعيشة المتواضعة وهي تحاول أن تتخيل "ميليسا" الأنيقة وهي ترتدي آخر صيحات الموضة وسط هذا الديكور غير المألوف لديها.

استأنف "بول" حديثه:

- لقد أخبرتني "ميليسا" أنها دعتك إلى حفلتها.

- إنني لم أحدثك عنها لأنني لا أعرف إن كانت تقيمه لمجرد العطف والكياسة.

فكرت في نفسها: "إنها لم تخبره بذلك لأنها تظن أنها هي وهو سيشكلان زوجين شاذين".

قال "بول" بلهجة ممطوطة:

- إن "ميليسا" امرأة على خلق. إنها لا يمكن أن تفعل أي شيء ليست لديها رغبة في فعله.

تذكرت "كاتي" أنها قالت له نفس الشيء عنها هي. والدليل أنه في حاجة إلى امرأة مثل "ميليسا".. قالت:

- لقد قالت لي : إنها تأمل أن تأتي أنت كذلك .

فكرت "كاتي" في أن "ميليسا" الطيبة قد اعتبرت مسلكها المؤدب نوعا من قبول الدعوة. قال:

- لو أردت أنت. يمكننا أن نذهب.

- إن "ميليسا" تظن أن حضورك الحفل سيفيدك.

- إنها تظن نفسها طبيبة نفسية.

لم تصدق "كاتي" ما تسمعه. أولا وجدت نفسها مضطرة للدفاع عن شجرتها وها هي الآن تصارع دفاعا عن "ميليسا".

- إنها تعتبر نفسها قبل كل شيء صديقة حقيقية لك.

- إنها فعلا صديقة حقيقية لي. ولكنها أيضا ممكن أن تخطئ.

- إذن ليست لديك نية الذهاب للحفلة.

أخذ يتأمل -لحظات طويلة- وجهها الصريح الساحر ثم أعلن:

- عندما أخبرتني "ميليسا" أنك تأملين الذهاب إلى الحفلة قبلت في الحال.

الفصل الثامن

في الحقيقة كانت "كاتي" قلقة من الاختلاط بالطبقة الاجتماعية التي ستجتمع عند "ميليسا". لقد غير "بول" رأيه من حيث الذهاب إلى الحفلة وذلك من أجل إرضائها وهذا أثر فيها.

كانت تعلم أن "بول" يتعذب. لم يكن ذلك لا بسبب جرحه ولا لأنها ابتعدت عنه. كانت تجهل المشكلة وغير واثقة إن كانت تريد أن تعرف السبب. وكانت أيضا مقتنعة بأنها تريد أن تعرفه. إنها تعرف أنه لا مستقبل أمامها . فهي تؤمن بأن اثنين زائد اثنين يساوي أربعة. إذن لابد أن تحضر الحفلة ومرة ثانية عليها أن تفكر في زيها الذي ستحضر به الحفلة.

لقد طلبت منها "ميليسا" توخي البساطة. والبساطة بالنسبة لها: تعني عدم ارتداء ثوب طويل.

لما كان حانوت "جوديث" قد حقق ازدهارا في الفترة الأخيرة فقد كان

أمام "كاتي" مجموعة رائعة للاختيار بينها. كانت هناك من بينها "موديلات" ساحرة.

اختارت "كاتي" ثوبا من التيل أظهر جمال شعرها اللامع. أعطتها "جوديث" إياه بالثمن الخاص بالأصدقاء وأضافت إليه حذاء لامعا رائع التأثير.

مساء الحفلة مشطت شعرها الطويل للخلف حتى صنعت منه كتلة فاخرة من الخصل المتماوجة ثم ارتدت الثوب الذي التصقت كسراته بتقاسيم جسدها المثير الذي يدل على الشباب والحيوية.

كانت نظرة "بول" كافية لمكافأتها على جهودها.

عندما أوقف "روبرت" السيارة أمام فناء بيت "ميليسا" لم تستطع "كاتي" أن تصدق عينيها . صاحت في دهشة:

- هذه الفيلا الضخمة من أجل شخص واحد! إننا يمكن أن نجعل مدينة بأسرها تسكن فيها .

رد عليها "بول" في مرح:

- أؤكد لك أن هذا هو بيت "ميليسا" وأنها تعيش فيه بمفردها. ولديها فريق من الخدم ولكنهم يعيشون في مساكنهم الخاصة ولست أدري أين هي تلك المساكن؟! ولكن الحديقة واسعة.

- يا إله السموات!

ذهلت "كاتي" وفقدت النطق أمام ما رأته بالداخل وأمام عظمة الأثاث والسجاد واللوحات المنتشرة في كل مكان والتي كانت جميعا تدل على الذوق الرفيع الذي انتقى تلك المجموعات بعناية فائقة. وفي ركن من الصالون الكبير رأت شجرة أرز بارتفاع ثلاثة أمتار تلمع بالآلاف من المصابيح الرقيقة.

كانت "ميليسا" ترتدي ثوبا في غاية البساطة ومع ذلك ينم عن روعة ذوق المصمم. أتت لمقابلتهما :

- كم أنا سعيدة برؤيتك يا "كاتي"! أنت مذهلة. إن شعرك يثير الأحلام وكذلك هذا الثوب الساحر!

- شكرا.

شبكت المضيفة ذراعها في ذراع "بول" السليمة وهي تعلق:

- إن هذه الذراع ذات الوشاح تثير الخيال.

تظاهر بالغضب وقال محتجا:

- آه.. حسنا! أتقصدين أنني في الأوقات العادية ليس عندي أي شيء غامض؟

- أوه. لا.. يا صغيري لا.. أريد أن أقول : إنك ازددت غموضا .

وضعت "ميليسا" ذراعها الأخرى تحت ذراع "كاتي" وسحبتهما إلى جمهور المدعوين الذين أحاطوا بها بسرعة. دهشت "كاتي" أيما دهشة عندما وجدت أن معظم النساء ممن يترددن عليها في الحانوت. سرعان ما وجدت نفسها وسط إعصار من الرؤوس وعندما استردت أنفاسها سعدت بأنها أحست بالراحة والاسترخاء. عند أسفل الشجرة وضعت سلال مليئة بالزينة وفي اللحظة التي اقتربت فيها "كاتي" جاء الدور على رجل يدعى "جارفي" ليضع ورقة شجر من الفضة على فرع الشجرة. كان رجلا قصيرا كرويا وأصلع الرأس. تراجع للخلف ليحكم على تأثير ما فعله. أما زوجته "لورين" فهي امرأة "تكساسية" طويلة القامة لها ضحكة مثل صوت الماعز ووجه بش. أمسكت به وقالت:

- أعتقد يا عزيزي أنه كان من الواجب أن تضعها على هذا الفرع هناك.

- لا على الإطلاق. لاحظي انعكاس الضوء عليه.

مالت "لورين" وألقت فرع شجرة كيفما اتفق ثم هنأت نفسها قائلة:

- رائع! أليس كذلك يا "كاتي"؟

قال "جارفي" وكأنه يعلن قرارا جمهوريا:

- إن هذا الفرع لا يتناسب مع المكان على الإطلاق.

استدار رجل في منتصف العمر وقال:

- أنت يا "ويليام" تمتلك أكبر محل لتجارة المعدات في "تكساس". ألا تعتقد أن هناك طريقة لتحديد الأماكن التي يجب أن توضع فيها الأشياء؟

مالت "لورين" على "كاتي" وقالت لها بصوت قوي:

- إن أحد مشروعات الكمبيوتر الخاصة بزوجي "جارفي" حقق نجاحا مؤخرا في البورصة لذلك ترينه منتشيا.

دار "وليام" حول الشجرة ثم عقد حاجبيه وقال بمنتهى الجدية:

- إنها معادلة سهلة لو حسبنا مجموع الزينات فإن الجذر التربيعي للشجرة والعدد والطول والوزن للفروع وقسمنا الشجرة على ثلاثة أجزاء ...

قال القادم الجديد الذي لم يكن مجهولا بالنسبة لـ"كاتي" وهو "هارولد فورو" واحد من أكبر رجال المصارف في "دلاس":

- من الأفضل اختيار الزينات حسب الطول.

عندئذ انسلت "ميليسا" خلف "كاتي" وهمست وهي تمسك بذراعها وتبتعد بها عن هذه المناقشة:

- تعالي. ولندع العناية بالزينة إلى هؤلاء الرجال القادرين. هناك شخص يريد تحيتك.

سألت "كاتي":

- ولكن أين "بول"؟

كانت الشابة مبهورة بالنقاش الدائر بين هؤلاء الرجال المهمين فنسيت أنها لم تعد ترى "بول".

- إنه جالس هناك.

تابعت نظرات مضيفتها واكتشفت الرجل الذي سبب قلقها وهو

جالس في راحة في مقعد مثير ذي مساند ومحاط بأشخاص كثيرين يبدو أنهم يتمتعون كثيرا بصحبته. قالت:

- ربما كان من الأفضل أن أطمئن على صحته؟

- لا تقلقي إنه في صحة جيدة.

قادتها "ميليسا" إلى زوجين حيث كانت المرأة حاملا وابتسمت لها في مرح وهي تمد لها يدها:

- لقد سبق لنا أن التقينا، ولكن لم يتم بيننا التعارف. أنا "آن بوش" وهذا زوجي "دريك".

صافحت "كاتي" السيدة بحرارة وهي تومئ برأسها إلى "دريك" في تحية ثم صاحت:

- بالتأكيد أعرفك. إنك سكرتيرة "بول". إنني سعيدة جدا للقائك مرة ثانية.

قالت "آن" بصوت رقيق:

- لقد فكرت في مقابلتك في شقتك ولكننا دائما مشغولون.

- إنني أقدر جدا الأطباق التي طهوتها لنا وتلك التي أحضرتها من المطعم.

- شكرا وأنا معجبة جدا بالإكليل الخاص بمدفأة "ميليسا". لقد أخبرتني أنك ساعدتها في إعداده.

اتجهت نظراتهما نحو المدفأة التي كانت يحيط بها الإكليل في فخامة وحيث كانت تومض الشموع الملونة. اعترضت "كاتي":

- ليس صحيحا أنني عاونتها. كل ما هناك أنني أعطيتها رأيي.

تدخلت "ميليسا":

- إنها تمزح. إن نصائحها لا تقدر بثمن. وكان بإمكاني أن أفسد أظافري كما فعلت "ليلي".

أشارت بذقنها إلى الشابة المدعوة "ليلي" وهي جالسة في أحد الأركان

وتتبادل الغزل بشكل فاضح مع رجل أنيق المظهر. اشارت "ليلي" بيدها دون أن تتحرك. سالتها "آن":

- إن كل المواد تاتي من حانوتك. واريد ان اعرف ما الذي اغرى "ميليسا" أن تجرب ذلك.

قاطعتها "ميليسا":

- إنها هي التي استطاعت أن تغريني.. يجب أن تذهبي يا "آن" لتري ذلك الحانوت المدهش.

- بلا شك. إنني في حاجة إلى اشياء من أجل حجرة الطفل.

امسك زوجها بذراعها وهو يزمجر:

- ومتى سيكون لديك الوقت لذلك؟ إنك لا تغادرين مكتبك اللعين. إنني أريد أن تسارعي بالحصول على إجازة الأمومة.

بدا الاهتمام على "آن" وهي تشرح:

- إن "دريك" يعتبر أنني اعمل كثيرا جدا ولكني اصبح مجنونة في البيت ولا افعل سوى انتظار طفلي.

- ابقي في البيت وانتظري وصول وليدك. يجب أن تفعلي أمرا من الاثنين.

حدجت "آن" زوجها بنظرة هائمة وقالت:

- إن سيدي وتاج رأسي تكلم! أرجو أن تسامحونا وسنذهب لتذوق الأشياء اللذيذة التي اعدتها "ميليسا" من أجلنا.

قال "دريك" في حزن:

- إنها لا تستطيع أن تشرب مشروبات قوية.

قالت له "ميليسا":

- إنها لا تستطيع ذلك. اطلب من كبير الخدم أن يحضر لها كوبا من اللبن.

سعد "دريك" بهذا الحل وقال:

- إنها فكرة ممتازة.

تاوهت "آن":

- إلى اللقاء قريبا.

عندما راقبتهما "كاتي" وهما يبتعدان متشابكي الذراعين وجدت نفسها تقول:

- لم اشاهد في حياتي زوجين سعيدين مثلهما.

غامت عينا "ميليسا" وهي تعلق قائلة:

- من ير تصرفاتها يعتقد انه يريد أن يلفها بالقطن ويضعها في صندوق حتى مولد الطفل. اعتقد انني لا يمكن أن أتحمله.

- كنت ستتحملينه لو كنت عاشقة له مثلها.

تذكرت ما قاله لها "بول" عن زواج "ميليسا" فعضت لسانها ندما وغيرت مجرى الحديث:

- إنني سعيدة جدا أن أرى "آن" هنا.

- إن "آن" تعد جزءا من عائلة "بول" اي من عائلتي. كما أنت تعتبرين كذلك من الآن.

فتحت "كاتي" عينيها على اتساعهما وقالت:

- انت لطيفة للغاية ولكن "بول" وانا.. أود أن أقول: إنه عندما يصبح "بول" قادرا على القيام باعماله فسيغادر شقتي.

نظرت "ميليسا" ناحية "بول" وقد ظهرت تجعيدة قلقة على جبينها وقالت:

- اتعشم الا تكوني صادقة في هذا الكلام يا "كاتي". إن "بول" في حاجة لامرأة مثلك.

- مثلي؟ إنني واثقة تماما أن هناك العديد من النساء يتنازعن حبه.

- نعم ولكنك الأولى منذ "سارة" التي...

قطعت- الحسناء سيدة المجتمع- الحديث وضحكت ضحكة خفيفة.

وقالت بعد ذلك:

- أرجو أن تنسي كل شيء. إن "بول" سيقتلني لو عرف أنني أتحدث بهذه الطريقة. لقد وقعنا عقدا غير مكتوب بيني وبينه. أن يكون كل منا موجودا عندما يحتاج إليه الآخر ولكن ألا يتدخل أي منا على الإطلاق في شؤون الآخر ولا حياته الخاصة. عندما فرضت عليه أن يحضر هذا المساء أكون قد أخللت بالعقد لأول مرة. آه يا عزيزتي. ولكنك لم تحتسي شيئا. هيا اذهبي إذن إلى البوفيه وصبي لنفسك ما تشتهين. لابد أن أهتم بضيوفي.

ألقت "كاتي" نظرة نحو "بول" وراته منتبها عندما همست له امرأة جميلة جدا في أذنه. اتجهت دون تردد نحو البوفيه.

كان السقاة يمرون بين المدعوين ومعهم الصواني المحملة بأكواب العصائر والمشروبات المنعشة.

قررت في النهاية أنه لا مانع من تذوق بعض تلك المشروبات اللذيذة. وبينما هي تحتسي كوبها سمعت صوتا نسائيا يعلق خلفها:

- كم هو بديع أن نجد "بول" بيننا الليلة!

- نعم هذه أول مرة أراه في حفل في هذه الفترة من العام.

- أعرف. لقد مر وقت طويل منذ أن رحل.

- إن جرحه قد عدل من مشروعاته على ما أظن.

- أعتقد أن ذلك بضعة أيام فقط. إنه سيرحل بعد قليل وسيصحب معه "كاتي" هذا العام.

- إنه لم يصحب نفس المرأة مرتين أبدا. أليس كذلك؟

- على أية حال لست أفهم السبب الذي يدعوه إلى الذهاب لجزر "الكاريبي" في ديسمبر.

- بل السبب معروف يا عزيزتي. إنه بسبب "سارة".

ابتعدت المرأتان وبدا وجهاهما غير مألوفين لها وظلتا تثرثران.

أحست "كاتي" بالاضطراب. أنهت احتساء كوبها مرة واحدة. كانت تشعر برغبة عارمة أن تبكي. تساءلت: هل تبكي من أجل "سارة"؟.. إن "سارة" ماتت.

ظل "بول" صامتا طوال رحلة العودة. لم تكف "كاتي" عن مراقبته دون أن يبدو عليها ذلك. عند وصولهما. اتجه مباشرة نحو حجرتها. أمسكته من ذراعه وسألته:

- هل تتألم؟

أرخى بصره نحو يدها. هذه أول مرة منذ مشهد الحمام تلمسه من نفسها. إنه لم يكذب عندما قال: إن حفلة "ميليسا" قد حررته من ألم نفسي. قال لها:

- لا.. لا أشعر حقا بألم.

- هل تريد قدحا من القهوة. سأقوم بإعدادها.

- بكل سرور.

كان يفضل أن ينفرد بنفسه في الحجرة ولكن نية "كاتي" الحسنة منعته وجلس على الأريكة. أخذ يتأمل شجرة الأرز الصغيرة التي جعلت منها الشابة شيئا محببا إلى النفس.

كانت قد زينتها بنفسها وبمفردها طوال الليل في الوقت الذي ظن فيه أنها نائمة. كان وقتها ممددا في الفراش يجد صعوبة في الاستغراق في النوم. إنه مشتاق إليها وكان يتلصص على حركاتها في الحجرة الأخرى. كان في كل مساء ينتظر حتى تنتهي من مهمتها وتعد له الفراش ثم ينام. في هذه اللحظة فقط استسلم للتعب.

مدت له "كاتي" قدحا ينبعث منه البخار وجلست على المقعد ذي المساند في مواجهته. احتسى أول رشفة ونظر إليها من فوق حافة القدح.

لقد تعب من التوتر المستمر والملح ويريد أن يهدم الحاجز القائم

بينهما همس:

- أنت جميلة الليلة. هل استمتعت بالحفلة؟

- نعم.. إن "ميليسا" سيدة منزل ممتازة.

- إن حفلات استقبالها مشهورة. والناس يتصارعون للحصول على دعوتها ومن لا يحصل على دعوة يحس بالمهانة.

- لم أفهم هذا. ثم هناك شيء آخر لا أفهمه .

وضع "بول" قدحه جانبا ونظر إليها بإمعان ثم سألها:

- ماذا؟

- منذ أن عرفتك سمعت تلميحات إلى رحلة ينتظر كل الناس أن تقوم بها. ويبدو لي أن أصدقاءك متفقون على هذه النقطة وهذا المساء نفسه تحدثت امرأتان فيه بالقرب مني.

سألها "بول" في حذر:

- ماذا قالتا؟

- إنك من المحتمل أن ترحل هذه الأيام إلى جزر "الكاريبي".

- لقد أردت أن أتحدث معك في ذلك. إنه حقيقي. وسأرحل قريبا وأحب أن تصحبيني. في الحقيقة لقد طلبت من "آن" أن تقوم بعملية الحجز. وأنا واثق أنك ستحبين المكان. إن الماء هناك شديد الشفافية حتى إننا نستطيع أن نرى السمك وهو يسبح.

لم يهتز لها رمش وتجاوزت عن كلامه قائلة:

- إنني أريد منك تفسيرات أخرى.

أدار "بول" رأسه بعيدا. وبعد فترة طويلة رفع عينيه نحوها وكأنه يفعل ذلك رغما عنه وبدأ الحديث بصعوبة وبدا على وجهه الألم:

- في كل عام من خمس سنوات أغادر "دلاس" في عيد "الكريسماس" لأذهب إلى جزر "الكاريبي" ولهذا يعتبر أصدقائي ذلك أمرا طبيعيا فعندما تبدأ أعياد الميلاد أطير إلى هناك.

- قالت إحدى المرأتين : إن ذلك بسبب "سارة"!

- لقد ماتت "سارة" في ليلة "الكريسماس" من خمس سنوات وكانت حاملا في طفلنا.

أحست "كاتي" بأن قلبها يتوقف عن النبض:

- أنا آسفة.

- كان "الكريسماس" يمتعها كثيرا وكنا عروسين وفي انتظار مولد أول أطفالنا.

مال برأسه وأخذ يحك جبينه بعنف وكان الذكريات تتدافع ويريد أن يمنعها:

- لقد قامت بتزيين البيت. من أعلاه لأسفله وكان من الصعب على المرء أن يسير دون أن يتعثر في تمثال لـ"بابا نويل" أو عربة الجليد التي تجرها غزلان "الرنة". وكانت متحمسة لآلاف المشروعات من أجل طفلنا المنتظر.

تجاسرت "كاتي" وسألته:

- ما الذي حدث؟

- في الليلة السابقة لليلة "الكريسماس". كان علي أن أرحل إلى "كاليفورنيا". وكان غيابي سيستغرق أربعا وعشرين ساعة. أصيبت في أثناء نومها بنزيف في المخ، كانت على موعد مع "ميليسا" في اليوم التالي صباحا للقيام بالتسويق. عندما حضرت "ميليسا" لاصطحابها لم تحصل على رد من طرقاتها على الباب. استدعت الشرطة التي قامت باقتحام الباب. كانت قد فارقت الحياة.

- وعند عودتك علمت بوفاة زوجتك. لابد أن الأمر كان رهيبا بالنسبة لك.

- إنني لم أكف عن التفكير في أنه لم يكن من الواجب علي أن أتركها بمفردها.

- كان من الممكن أن يحدث لها ذلك وأنت بجوارها.

نهض وكأنه يبحث عن الهواء وتابعت هي:

- لقد أخبرتني "ميليسا" أن "سارة" كانت امرأة فريدة.

- هذا صحيح.. كل الناس كانوا يحبونها.

أحست "كاتي" بالاضطراب من أجل "سارة" ومن أجلها هي ومن أجل "بول". طوال الوقت يوجد شبح بينهما ولم تكن تحس بوجوده.

استمر "بول" في روايته:

- لقد مرت خمس سنوات منذ رحيلها. وإذا كان الألم قد توقف فلا يزال هناك ذلك الشجن الذي يزداد حدة بوصول أعياد الميلاد عندما تعود كل الذكريات مرة واحدة. إنني أهرب إلى حيث لا أتذكر هذه الأعياد.

فتحت "كاتي" يدها في حركة دهشة:

- ولكن..

- لابد أن تفهميني يا "كاتي". لابد أن أدافع عن نفسي وأتخذ الاحتياطات لتجنب الصدمة. إن هروبي يجعل الأمر أسهل علي.

نعم إنها تفهم. إن "بول" يكره "الكريسماس" لأن "سارة" ماتت في الليلة السابقة للعيد. إنه لايزال يعاني مهما قال غير ذلك.

- تعالي معي يا "كاتي" إنني أستأجر دائما نفس الفيلا. إنها مليئة بالسحر و...

- هل هناك اصطحبت النساء الأخريات؟

رد عليها بهدوء:

- لقد أخبرتك أن هناك نساء أخريات منذ وفاة زوجتي.

نهضت "كاتي" قائلة بنفاد صبر:

- الأمر عندي سيان. أنا لا أستطيع أن أذهب إلى هناك معك.

- إن الحانوت ناجح الآن ولست في حاجة لأن تظلي فيه طوال الوقت.

وسأحضر لك بائعة في أثناء غيابك.

- أنت لم تفهم مقصدي يا "بول". إنني لا أريد الذهاب معك. اعلم أنني أحب عيد "الكريسماس" وأحب أن أقضيه هنا في "دلاس" في بيتي.

رفعت قدح القهوة التي بردت ووضعته في "الميكروويف" في المطبخ ثم ضغطت الزر وهي مدركة أن عيني "بول" لم تتركاها. قالت:

- غريب أمر هذا الفرن "الميكروويف". لا صلة له بالنيران الحقيقية. إنه لا يعطيك الشعور بالدفء ومع ذلك لا يستطيع الناس الاستغناء عنه.

فجأة وجدت "بول" خلفها يسألها:

- هل يمكنني أن أظل عندك حتى رحيلي للجزر؟

- بالتأكيد ممكن. إنك لا تستطيع أن تبقى بمفردك.

أحست بأصابعه يمررها في شعرها وهمس في أذنها بحنان:

- بل أستطيع. أنا الآن بخير وإن كنت لاأزال أحس ببعض الألم في كتفي ولكن الجرح اندمل.

أدارت رأسها نحوه وحررت بذلك شعرها.

- لماذا تلف ذراعك دائما بالوشاح؟

- لأن ذلك يريح ذراعي لأنه يسندها. إنه نوع من الاحتياط لتجنب أي نوبة؛ في الحقيقة أستطيع أن أستغني عنه بضع ساعات يوميا وهو ما لا أفعله عندما تكونين هنا.

فكرت "كاتي" أن باستطاعتها البوح ببعض الاعترافات والتفاصيل مثل معرفتها أنه بخير ولكنها لم تقل ذلك خوفا من رحيله.

- هل ستردين على سؤالي يا "كاتي"؟ هل أبقى؟

- إنك تذكرني بقطة كانت عندي وأنا صغيرة. وكان ذلك في الشتاء وعثرت عليها وسط الثلوج لقد نقلتها إلى بيتنا لأغذيها وأدفئها وفكرت أن أتركها إلى حال سبيلها بعد ذلك. لم يطاوعني قلبي على أن أطردها

مع ذلك البرد.

ألقى "بول" الوشاح ووضع يديه على كتفيها المرتجفتين.

- هل هذا هو ردك؟

كانت عاجزة على أن تنظر في عينيه فأخذت عيناها تشردان في الحجرة. صعدت غصة في حلقها حاولت أن تبتلعها وهي تقول:

- أغرب ما في الموضوع أن تلك القطة رحلت في يوم ما بمحض إرادتها وبكيت كثيرا عندما اختفت.

صاح:

- "كاتي" ليس عندي ما أقدمه لك ولكني في حاجة إليك. يا إلهي! كم أنا في حاجة إليك!

رددت في نفسها كم هي تحبه ولكنه يحب دائما "سارة". دفعته "كاتي" بعيدا عنها وذهبت نحو شجرة الأرز. إنها تستطيع أن تفخر بما فعلته في حياتها وبحانوتها وشجرتها. إن الحانوت سيستمر يحقق النجاح وفي العام القادم ستنمو شجرتها، ولكن "بول" لن يكون موجودا.

كانت دائما مقتنعة أنه لا مستقبل لهما معا. وإذا كانت لا تعرف غلطة من. فهي على الأقل تعرف أنه لا حيلة لها في الأمر.

إن "كاتي" لا تستطيع أن تصارع شبحا فما الفائدة؟ عندما يركب "بول" الطائرة إلى جزر "الكاريبي" فإن الماضي سيحقق انتصارا جديدا. ومع ذلك فإنه يرفض الحاضر. إنه يرفضها. ورغم كل ذلك ابتسمت في داخلها. إنها على استعداد أن تعطيه كل شيء يحتاجه إلى حين لحظة الرحيل.

تساءلت: هل ما تحسه هو ردود فعل المرأة أم الفتاة الصغيرة؟ في الحقيقة لم يكن لهذا أي أهمية. إن الحزن لن يقل والخسارة لن تستطيع تحملها بدرجة أقل بل نفس الألم.

كان واقفا قريبا منها. أعلنته بصوت مخنوق:

- يمكنك أن تبقى هنا لحين رحيلك إلى الجزر. متى تنوي الرحيل؟

- صباح ليلة "الكريسماس".

اكتفت "كاتي" بالموافقة بهزة من رأسها. أراد أن يبرر "بول" موقفه فقال بإلحاح:

- لم يسبق أن تأخرت إلى هذا اليوم من الشهر ويجب أن أرحل ليلة عيد "الكريسماس".. يجب!

إنها تفهم. أنه بقي في "دلاس" أطول مدة ممكنة بسببها. هذا كل ما يستطيع أن يمنحها.

الفصل التاسع

عندما دخلت "كاتي" الحجرة أعطت "بول" ظهرها، أخذت تعمل في ترتيب الحجرة في صمت ولم يعد يسمع سوى صوت أنفاسهما. كان الوقت هو عدوهما لأنه كلما مر اقتربت ساعة فراقهما. إنها الليلة الأخيرة التي سيعبران فيها عن مدى حبهما في صمت. إنهما يشعران أنهما كيان واحد ولكن فترة محدودة.

ظل "بول" يقاوم عاطفته إلى أن أنهكته واستسلم للنوم. وهي كذلك استلقت على الأريكة حيث غرقت في نوم متقطع.

استيقظا في الفجر. قال لها وهو يتثاءب:

– هل سبق أن أخبرتك كم أنت جميلة وأنت مستلقية على الأريكة مثل القطة؟

نظرت إليه تؤنبه:

– لا. لم تقل لي ذلك بالتفصيل.

– إن عيني قالتا لك ما أفكر فيه. أنت مذهلة.

– شكرا.

– وشعرك.

– إنه غير ممشط ويجعلني أبدو بلهاء.

– إن خصله الطويلة الشقراء جدا تجذب كل الرجال.

– أنت تبالغ.

– أنا لا أستطيع أن أرفع عيني عنك أبدا. إنني أصاب بالجنون عندما أراك تتحدثين مع رجل غيري.

قالت محتجة:

– أنا لم أتحدث مع الكثير من الرجال. بالعكس في كل مرة أنظر إليك أجد امرأة تحاول إغراءك بكل الطرق.

احتج بدوره:

– أنا لم أشاهد سوى امرأة واحدة هي أنت. "كاتي" كم هو رائع أن تكوني معي.

###

كان "بول" ممددا وسط الفراش غير المرتب وهو يشاهد "كاتي" تستعد للرحيل.

– من فضلك تعالي معي إلى جزر "الكاريبي".. إنني أريد منك أن تأتي معي!

اجتاح الحزن الفتاة فترة. إن "بول" يريد أن يصحبها إلى جزر "الكاريبي" وسيسهر عليها وسيكون رفيقا ممتازا وسيحبها ويعشقها. إنه أيضا ملأ بيتها بالمؤن من المعلبات واللوازم. ولكن هذا كل ما يستطيع أن يفعله لأنه لا يستطيع أن يحبها. قالت:

– هناك أمور أريدها يا "بول" وهروبي إلى جزر "الكاريبي" ليس من بينها.

كيف يمكنه أن يعترض. رفع عينيه نحوها متضرعا:

- لما كنت سارحل متاخرا جدا هذا العام فإنني لن ابقى كثيرا هناك. أسبوعا واحدا أو اثنين. وعندما أعود..

- لا.

صدم من هذه الإجابة. حاول أن يدافع عن قضيته :

- إن هذه الرحلة لن تغير شيئا بيننا يا "كاتي". أنت تريدين أن تبقي معي وأنا أريد ذلك أيضا.

- هذا صحيح.

- إذن حاولي أن تفهمي. إنني لا أستطيع أن أبقى في "دلاس" حتى أعياد "الكريسماس".

انهت لبس زيها بأن مشطت شعرها. ثم قالت:

- أنا أفهم جيدا. وأنت بدورك متى سترحل فإنك لن تستطيع العودة إلى هذا البيت. وسينتهي كل ما بيننا.

انتفض في جلسته بقوة واكفهر وجهه لأن ألما حادا اخترق جسده. ساعدته "كاتي" على الاسترخاء بين الوسائد. انتهز الفرصة وأمسك بذراعها :

- كوني عاقلة يا "كاتي".

- إذا رحلت فإن الماضي سينتصر.

كانت قريبة منه جدا إلى درجة أن رأت الغضب ينفجر من عينيه. صاح هادرا:

- إنها ليست سوى رحلة ولا معنى من يفوز ولمن يخسر.

- إذا رحلت فإن هذا دليل أن الماضي يعني لك الحاضر.

- إن هذا أمر غير مفهوم على الإطلاق.

- أنا لا أطلب منك شيئا يا "بول".

- هذا لا يدهشني.

هزت رأسها وتحررت من قبضته ووقفت أمامه.

- إن "بابي" ينفتح بسهولة من الداخل.

- "كاتي".

- لا تطلب مني أن أتخلى عن كرامتي يا "بول".

بعد رحيلها ظل "بول" ممددا دون حركة. إنه يعرف جيدا أن الحق معها إلا تريده بعد عودتها.

لقد منحته حبها وحنانها وكرمها. ومع ذلك لا يستطيع أن يحبها ولا يستطيع أن يقص عليها تفاصيل حكايته مع "سارة".

إنه لا يستطيع أن يحكي لها سوى السبب الوحيد الذي من أجله تزوج "سارة" وهو أنها كانت تنتظر طفلا. إنه لا يستطيع أن يحكي لها أن "سارة" شخصية فريدة وأنه رغب من كل قلبه في طفله. إنه غير قادر على حب "كاتي" كما أحب "سارة" ولا كما تحبه هي نفسها. لقد حاول مع ذلك وكان مقتنعا أنه بمرور الزمن فإن العاطفة الأخوية التي يحسها نحوها قد تتحول إلى حب. يا للمسكينة "سارة"! إنه لم يكن موجودا عندما ماتت وهي وحيدة.

***

أخذت "كاتي" تتأمل - من خلف نافذة العرض - الميدان الرئيسي للقرية. كانت السماء محملة بسحب ثقيلة قاتمة ولكن الحرارة لم تنخفض. لن يكون هناك ثلوج من أجل "الكريسماس" ولن يكون معها "بول". سيأتي عيد "الكريسماس" بعد يومين. كان "روبرت" قد عبأ حاجات "بول" في حقيبتي ملابس وضعهما في حجرة المعيشة. لقد كانت حياتهما المشتركة قاسية ورائعة في آن واحد. كان قد ملأ الشقة بحضوره ورجولته وذكراه تسبح بين الجدران. وكان التليفزيون ينتظر بلا فائدة أن تشغله. كل شيء سيختفي معه ولكن خياله سيظل للأبد. حاولت "كاتي" فعل المستحيل حتى تبعد عن ذهنها صورة رحيله

الحزينة وهي تدعو الله أن يرحل دون أن تنهار.

###

كانت على وشك إغلاق حانوتها عندما رأت "شارلوت كاريللي" تقفز من سيارتها الـ"بي. أم. دبليو" أمام الحانوت. كانت "شارلوت" من أوائل عميلاتها وكانت مدمنة ومتلهفة على دروس الديكور. صاحت:

- يجب أن تساعديني يا "كاتي"!

- ماذا هناك؟

- كل ذلك خطأ مني. إن عندي عشاء الليلة ولا توجد ورود على مائدتي. ولما فوجئت في آخر لحظة وجدت أن محال الزهور أغلقت أبوابها. فهل يمكنك أن تفعلي شيئا ما؟

- نعم.. بالتأكيد سنقوم بصناعة باقة من الورود الحريرية ولن يستغرق الأمر وقتا طويلا.

صنعت لها "كاتي" باقة من الزهور تليق بأحسن مائدة طعام. ضمت "شارلوت" يديها وهي تشعر بالارتياح. عندما استعدت للرحيل وبين ذراعيها باقة الزهور الثمينة استدارت وقالت بصوت دافئ:

- شكرا مرة ثانية. لحسن الحظ أن "بول" اتصل بـ"ميليسا" ليخبرها أن تنقلني إلى محلك! أنت خرافية وقد تعلمت الكثير.

كانت السيدة "كاريللي" خارج الحانوت عندما نادتها:

- لحظة من فضلك يا سيدة "كاريللي"!

- نعم.

- هل تقصدين أن كل الناس الذين حضروا يعرفون "بول" ويعرف كل منهم الآخر؟

دهشت "شارلوت" من لهجة "كاتي" فقالت:

- يا إلهي! إن "بول" و"ميليسا" يعرفان كل الناس.

- وأنت لم تحضري إلا من أجل إرضاء "بول"؟

- "كاتي"! إننا لم نكن نعرف أين يوجد حانوتك. والآن وقد عرفناه فسنعود.. مع عدد كبير من الناس. لابد أن أسرع وسأحظى بالتهنئة على ما سيتوسط مائدتي. وسنلتقي بعد الأعياد.

عندما أصبحت "كاتي" بمفردها عرفت ما كانت تخشى أن يحدث أحست أن أعصابها ستفلت منها واجتاحتها ثورة عارمة. إن التعقل لم يعد يصلح بعد الآن ويجب أن تتصرف بأسرع ما في استطاعتها.

أغلقت أبواب الحانوت وامتطت دراجتها لتذهب إلى برج "هايز" حيث قال لها "بول": إنه سيظل إلى وقت متأخر هذا المساء بهدف أن يرتب رحيله مع "آن".

هبط الليل وانخفضت حرارة الجو فجأة وصار المرور مزدحما شيئا فشيئا، ولكن "كاتي" لم تهتم بشيء طوال الرحلة ولا حتى بالضباب الذي سيغطي المدينة في اليوم التالي.

في الطابق الخامس والثلاثين من البرج المهجور كانت الأنوار مضاءة. دخلت "كاتي" إلى مكتب "بول" مباشرة.

كان "بول" جالسا خلف مائدة العمل وقد حنى رأسه فوق الملفات بينما جلست بجواره "آن" على مقعد منخفض تسجل ملحوظاته.

- لابد أن أتحدث معك.

فزع "بول" وصاح:

- ماذا تصنعين هنا؟ كيف دخلت؟

كررت كلامها:

- أريد أن أتحدث معك.

- نعم.. نعم. ولكنك مبتلة. أحضري لي يا "آن" منشفة من الحمام.

بكل البطء المتوقع من امرأة حامل في أشهرها الأخيرة نهضت "آن" واختفت وراء الباب.. سألها:

- أنت مجمدة.. تعالي اجلسي.

حاول أن يدفعها نحو الأريكة ولكنها أفلتت منه.

- "كاتي"! هل هناك ما يسوء؟ ماذا حدث؟

كانت تحس بالبرد حتى العظام وتجمد الكلام على شفتيها. ظهرت "آن" وناولتها بشكير حمام.

- خذي هذا يا "كاتي" وجففي نفسك وإلا اصبت بالمرض.

- شكرا.

- إذا أردت خلع ملابسك المبتلة فهناك روب بشكير في حمام "بول" ويمكنك أن تاخذي حماما ساخنا مفيدا.

أحست "كاتي" انها تذوب عرفانا بالجميل للسيدة الساحرة.

- لا تقلقي فلست مبتلة لهذه الدرجة، إنه مجرد ضباب.

قالت "آن" وقد ظهر عليها التعب من الحمل الذي تحمله:

- ساذهب إلى مكتبي يا "بول"، أريد أن انهي عملي بسرعة.

- حسنا.

سارع "بول" نحو "كاتي" فور خروج السكرتيرة:

- ما الذي حدث؟ خبريني.

خرجت كلمات غير مرتبة من بين شفتي الشابة:

- لقد اكتشفت.. قالوا لي: إنك أخبرت "ميليسا" أن تقول لصديقاتها أن يذهبن لحانوتي لشراء أي شيء.. إنه أمر مرعب.

لم يكن "بول" في أحسن حالاته وكانت أعصابه مشدودة لآخرها. إن رحلة الطيران ستبدأ في الصباح المبكر ولم تعد لديه الشجاعة ليبقى في عيد "الكريسماس". ولا يريد أن يترك "كاتي" دون أمل أن يراها ثانية. صاح رغما عنه:

- أمر رهيب؟ لقد تضاعفت أعمالك عشرة أضعاف.

- بفضلك وليس بفضلي!

- وماذا في ذلك؟

أراد أن يصالحها ولكنه لم يستطع أمام انفعالها. اندفع نحوها وأخذها بين ذراعيه وهي ترتجف من رأسها لقدميها. تركته في البداية ثم دفعته.

- أنت لا تدركين يا "كاتي" أن المهم هو أنك تستطيعين التغلب على المصاعب ورأب الصدع.

- آسفة لا أستطيع أن أتفق معك. المهم هو أنه من البداية أدرت حياتي حسب هواك. لقد اشتريت لي ما آكله وجئت لتعيش معي..

- إن السهر على شخص ليس خطيئة يا "كاتي". أما الكبرياء التي تصل إلى حد الغرور فهي الخطيئة فعلا. إن مؤسسة "لاهاي" تريد أن تقوم بالدعاية للقرية حتى تنهي أعمالها.. هل تذكرين هذا؟ كل ما فعلته هو انني قدمت موعد حملة الإعلانات.

- إنني أذكر جيدا اليوم الذي أتت فيه "ميليسا" و"ليلي" للحانوت. لقد كانتا تمثلان فرقة الاستطلاع. أليس كذلك؟ وهذا معناه أنك اتصلت بـ"ميليسا" بالضبط قبل أن تطير إلى "كاليفورنيا". ومن المحتمل أن يكون ذلك على أثر شجارنا مباشرة في مكتبك. لقد قلت في نفسك: إن الحل الوحيد هو تحسين عائد الحانوت حتى تستطيع بعد ذلك أن تطالب بالزيادة في الإيجار وأن أستطيع أن ادفعه. ولما لم تكن تحبني فإن هدفك الوحيد هو أن تخضعني لسيطرتك.

اخترقت الحقيقة- التي خرجت من بين شفتيها كالسهم – ضمير الرجل. إنه لا يستطيع أن ينكر ما قالته. ورغم ذلك صرخ فيها غاضبا:

- كل الناس في الميدان استفادوا من تطوير الأعمال يا "كاتي" ولست أنت وحدك.

- إنني سعيدة من أجلهم ولكن النتائج الموضوعية لا تسهل من تحملي أهدافك التي احتقرها. لقد أتيت كي أخبرك أنني أريد من "روبرت" أن ينقل كل امتعتك هذا المساء وستنام الليلة في الفندق

- لا.

- لست أدري ماذا يمنعك من ذلك. أنت سترحل مبكرا في الصباح. هل يقول لك عيد "الكريسماس" شيئا ما؟ أنا أعرف أشخاصا يخافون من الظلام ومن الرعد والثعابين ولكن من "الكريسماس" لا يوجد أحد على الإطلاق.

اكفهر وجه "بول" وكز على أسنانه:

- أخبريني يا "كاتي": هل لو ساعدت المستاجرين الآخرين دون أن أساعدك فهل كنت ستغضبين لهذه الدرجة؟ وإذا تركتك تخسرين حانوتك وتموتين من الجوع فهل كنت ستحقدين علي أيضا؟

- لا... لا.

- دعيني أطرح عليك سؤالا. متى يصبح الغرور صفة حميدة ومتى يصبح نقيصة؟

انطفأت كل الأنوار في المبنى فجأة وسبح المكان في الظلمة التامة. كانت "كاتي" في حالة من الذهول تمنعها من الرد في الحال. لقد مستها كلماته في الصميم وجعلتها تعيد التفكير. أمسك بيدها:

- هل أنت بخير؟

- نعم.. هل الظلام في مكتبك فقط؟

- لا إنه عطل عام. انظري إلى الخارج فلا يوجد ضوء.

- لا ينقصنا إلا هذا.

- لا تقلقي. إن لدينا شموعا. انتظري هنا لأحضرها.

في هذه اللحظة بالذات سمعا الباب ينفتح وصوتا قلقا ينادي عليه.

رد "بول":

- لا تتحركي يا "آن" أنا قادم نحوك.

- "بول" إنني على وشك الوضع.

الفصل العاشر

شهقت "آن":

- أنا لا أستطيع أن أصدق. إن طفلي من المفروض أن يصل بعد أسبوعين.

قادها "بول" بحذر إلى الأريكة. وقال مازحا:

- وهل حاولت أن تجعليه يفهم ذلك؟

- الحقيقة لم نتبادل حديثا طويلا.

- حسنا هذه هي الأريكة فاجلسي واسترخي.

- أسترخي؟ هل تمزح؟

- نوعا ما.

في أثناء هذا الحديث أخذت "كاتي" تسترجع في ذاكرتها المكان. تحسست حتى عثرت على مكتبه ثم وصلت إلى التليفون. أعلنت لـ"بول":

- سأستدعي سيارة إسعاف. هل قلت: إن هناك شموعا في المطبخ؟

احضرها لاننا سنحتاجها.

جاء صوته من نهاية المكان:

- ها هي. هل تريدين شيئا آخر؟

- اغطية.. ويجب أن تظل "آن" دافئة.

- يوجد مفارش سفرة ومناشف ثقيلة في الحمام.

- ممتاز! وانت يا "آن" منذ متى وانت تتألمين؟ لا بد ان تقولي ذلك للطبيب.

- لست متاكدة تماما. لقد احسست بالم في الظهر من عدة ساعات وقد بدأ يتفاقم.

جاء صوت "بول" من بين الظلام:

- اللعنة. ولم لم تخبريني؟

- لانني ظننت انها آلام ظهر بسيطة. يجب أن تعلم يا "بول جارث" ان النساء الحوامل دائما ما يشكون آلام الظهر فلا توبخني.. آه.. آه.

سمعت "كاتي" "بول" وهو يزمجر وهو يفتح بابا في نهاية حجرة المكتب. اطلقت "آن" صرخة.

كان هاتف الإسعاف مشغولا. نفد صبر "كاتي" وهي تسمع شكوى المراة تزداد حدة. أخيرا ردوا عليها واخبروها بانه بسبب أعطال الإضاءة فإن الإنقاذ سيكون بطيئا. اخذوا مذكرة وسيرسلون إخصائيا في أقرب فرصة ممكنة. ثم إن الوصول إلى الدور الخامس والثلاثين دون مصعد.. أمر شبه مستحيل. حاولت "كاتي" أن تحتفظ بهدوء أعصابها. ردت عليه قائلة:

- شكرا. لقد فهمت وسننتظر وإذا واجهتنا مشكلة فسأتصل بك.

وضعت السماعة وتحسست طريقها نحو "آن".

- كل شيء على ما يرام. إنهم يعرفون انك هنا. وسياتون في أسرع وقت ممكن وخلال ذلك لا تقلقي.

- "كاتي" إنني لا أريد أن أضع هذا الطفل هنا.

- بالتاكيد من الأفضل الانتظار حتى تنتقلي إلى المستشفى ولكن ما

باليد حيلة.

- لا تفكري في ذلك. إن "دريك" في رحلة وانا ارفض ان الد هذا الطفل وهو غير موجود.

ادركت "كاتي" أن الرعب تملك الشابة.

- اين "دريك"؟

- في "هوستن".

- سنتصل به وسيركب أول طائرة وعادة ما يتاخر وصول الطفل الأول كثيرا. والرحلة من "هوستن" إلى "دلاس" عادة تستغرق ساعة و"دريك" سيكون هنا وقت ميلاد الطفل.

لم تكن "كاتي" تصدق كلمة واحدة مما تقوله ولكن وجدت أنه من الأفضل أن تطمئن "آن" افضل من أن تصارحها بالحقيقة. وكانت على حق لأن "آن" هدأت وقالت:

- حسنا.. سانتظر زوجي.

أعلنت شعلة الشمعة عن وصول "بول" الذي أعلن:

- لقد جمعت كل الشموع التي استطعت أن احصل عليها وساذهب للبحث عن شموع أخرى عندما أوقد الشمعدان.

تدخلت "آن":

- لا تتعب نفسك يا "بول". "كاتي" ستتصل بـ"دريك" وسانتظر وصوله قبل ان اضع الطفل.

- هل تصدقين هذا؟

-.. نعم.

همست "آن" برقم تليفون لـ"كاتي" التي عادت إلى المكتب بينما أضاء "بول" الحجرة.

بعد خمس دقائق وضعت "كاتي" سماعة التليفون تاركة أب المستقبل على الجانب الآخر من الخط وهو على وشك ان يصاب بأزمة عصبية. ثم عادت نحو "آن" و"بول" وقالت تطمئنهما:

- "دريك" سيكون هنا فور استطاعته وقد طلب مني أن أخبرك أنه

يحبك ويجب أن تتحلي بالشجاعة.

- هذا كلام سهل وهو على بعد أربعة آلاف كيلو متر من هنا. كم أود أن أراه مكاني هنا.. آه.. آه.

قال "بول":

- هل يمكن أن نتركك هنا يا "آن" بمفردك إلى أن أحضر أنا و"كاتي" أشياء من المطبخ؟

- اطمئنا فإنني لن أطير من هنا.

- صيحي بأعلى صوتك لو احتجت إلينا.

عندما أصبحا في المطبخ سألها "بول":

- ما الموقف بالنسبة لنا؟

- إذا لم تحدث تعقيدات فإن الولادة ستكون حالا. وإذا واجهتنا متاعب فسنستدعي الإسعاف.

- إنني لن أسامح نفسي لو حدث لها أو للطفل مكروه. لم يكن من الواجب أن أبقيها كل هذا الوقت .

- إننا سنتصرف. الأطفال يولدون في كل لحظة وسنبذل كل ما في استطاعتنا. موافق؟

- أنا في منتهى السعادة لأنك هنا معي.

- وأنا كذلك.

بعد فترة انتبهت لخطورة الموقف وسألته:

- هل لديك سخان بوتاجاز؟

- نعم يمكنني أن أغلي الماء. بالمناسبة لماذا دائما الرجل هو الذي يقوم بغلي الماء في حالة الولادة؟

- أعتقد أن ذلك يحدث في الأفلام حتى يتيح الفرصة للبطلة أن تنال المجد. وفي حالتنا هذه لدي إحساس أننا نحتاج إلى ماء نقي لتنظيف الأم والوليد. عندما يغلي الماء أحضره إلى هنا مع بعض المناشف والبشاكير وسأعود إلى "آن".

قال بعد تردد:

- إنني سعيد لأنك هنا يا "كاتي".

لم تعرف بماذا ترد. كان يريد أن يقول لها: أنا أحبك. خطرت ببالها فكرة لتبعده عنها:

- ستكون في حاجة إلى أكياس بلاستيكية.

عندما ركعت "كاتي" بجوار "آن" كان وجهها يتلوى من الألم وقالت:

- إن طفلي قرر أن يملي إرادته وهذا سيكون له تأثير سيئ على العلاقة بين الأبناء والآباء.

- أنا واثقة من أنك ستكونين أما رائعة.

- لماذا؟

- لأنه سيولد في "الكريسماس" وأبناء "الكريسماس" رائعون.

- هل هذا صحيح؟

أعدتها "كاتي" لوضع الطفل ورغم آلام "آن" الشديدة إلا أنها وجدت نفسها تقول:

- من الذي فكر في فكرة الماء المغلي هذه؟

- هذه ليست لحظة طرح الأسئلة.

همست "كاتي":

- إن نوبات الطلق بدأت تتسارع.

صدرت من "آن" صرخة مدوية قطعت الحديث.

أخذت المرأتان تنفذان ما قرآه وشاهداه عن عمليات الولادة وفي دروس ما قبل الولادة لإعداد الأم لاستقبال الوليد. بعد فترة من العذاب والقلق والتوتر والخوف. انتهى كل شيء وظهر الطفل بأكمله بين يدي "كاتي" التي أطلقت صيحة فرح. وقالت:

- "آن"! إنه ولد! إنه ولد صغير وجميل.

- هل هذا صحيح؟ كيف هو؟

- رائع!

نظرت "كاتي" إلى "بول" ورأت بريقا في عينيه مشوبا بالدموع. سرعان ما أدار رأسه. وانهمكت هي في مهمتها في حركات واثقة حتى

انتهت فاطلقت زفرة ارتياح. اخذت تنظر في إعجاب إلى المعجزة التي تحققت. لقد مرت بتجربة لن تنساها في حياتها.

عندما قالت "كاتي" لـ"آن" إنها تحسدها لم تتجاوز الحقيقة. فإن ولادة طفل من الرجل الذي تحبه هو الأمل الذي كان يداعبها من زمن بعيد. ولكنها الآن تعرف أنه لن يتحقق لها أبدا.

عندما ساعدت الأم الصغيرة على الاغتسال لاحظت على وجهها هدوءا وسلاما لم يسبق لها أن رأتهما على وجه إنسان. قالت لهما "آن":

- شكرا لكما يا "كاتي" ويا "بول" والآن أنت يا "بول" تعرف كيف تتصرف عندما ترزق زوجتك بطفل.

التقت عيون "بول" و"كاتي" على ضوء الشموع. وفي هذه اللحظة عادت الكهرباء.

###

راقب "بول" الممرضة وهي تضع طفل "آن" في الحضانة. وأكدوا له أنه إجراء روتيني حتى يتأكدوا من أن صحة الطفل ممتازة. كان لايزال مذهولا مما حدث. إنه و"كاتي" وسط الظلام ساعدا على إخراج حياة جديدة إلى الدنيا. إنها تجربة لا مثيل لها. بعدها عادت الأنوار وجاءت عربة الإسعاف وتقرر أن يصحب "بول" الأم الصغيرة وأن تبقى "كاتي" لإعادة بعض النظام والاتصال بالمطار لإخطار "دريك" حتى يذهب إلى زوجته.

كان "بول" يأمل لو أن "كاتي" تكون معه. لقد تشاركا في حدوث المعجزة بحماس وكان من الظلم ألا تكون معه الآن.

بينما كان يتأمل الطفل الضئيل أدرك أنه لم يسبق له أن انتبه إلى دورة الحياة والميلاد والموت والحياة. من سنوات خمس كان ابنه هو قد مات دون أن تتاح له فرصة أن يرى الحياة. ومن يومها والشجن وعاطفة الشعور بالذنب ربطاه بالماضي ومنعاه من رؤية الحاضر. وهذا الميلاد الذي حضره وشارك فيه ساعده على مواجهة الحقائق التي كان قد تجنبها حتى الآن. لقد تمنى من كل قلبه أن يولد

طفله وحاول بإخلاص أن يحب "سارة". وإذا لم يكن قادرا على عشقها إلا أنه أظهر لها الكثير من المودة. لم تكن "سارة" تعيسة. لقد كانت تحب الحياة معه ومقتنعة أن الأمر سينتهي به إلى أن يحبها.

وحتى لو كان بجوارها خلال تلك الليلة القاتلة لم يكن يستطيع أن ينقذها. وقد ألح الأطباء على هذه النقطة وقتها.. وحتى لو كان قد أحبها. فإنه ما كان ليؤمن بذلك حتى الآن.

لقد اكتشف هذا المساء الحقيقة الكبرى. أن الحياة هبة خرافية رائعة والشعور بالذنب جعله يرفض الحياة... والحب.

وإذا كان قد فقد طفلا فقد ساعد في مولد طفل. قد لا يمكن تعويض الطفل المفقود ولكن بطريقة ما فإن وليد "آن" أشار له إلى طريق جديد وهو أن بإمكانه أن يهب الحياة لأطفال آخرين. أطفاله.. من "كاتي".

لقد بالغ في مطالبه من الشابة وأمامه أن يفعل الكثير حتى يحصل على عفوها وأن يقول لها الكثير.

قال الأب الجديد بابتسامة انتصار:

- فيم تفكر يا "بول"؟ إن ابني بطل.. أليس كذلك؟

- أعتقد أنه كذلك فعلا وهو موهوب للغاية. لا شك أن كل جامعات أمريكا تتنازع عليه من الآن. كيف حال الأم؟

- لقد تركتها لتختار اسمه الأول ولا تدهش إذا علمت أن اسم "بول" على رأس القائمة. أما ما يهمني فهو أن يكون الاثنان في صحة تامة. شكرا يا "بول" أنت لا تعرف مدى عرفاني بالجميل لما فعلته أنت و"كاتي" من أجلنا.

###

بدأ النهار لطيفا مشرقا. ومن لحظة وصول "كاتي" إلى الحانوت وهي تعمل بنشاط. لقد أصاب الناس هوس من خوفهم ألا يحصلوا على حاجاتهم من الهدايا التي يجب أن يقدموها وكان ذلك الليلة السابقة "للكريسماس".

ساد الجو مرح له طعم خاص وكان الرجال لا يتحدثون إلا عن العشاء

الفاخر الذي سيتناولونه والأشخاص المحبوبين الذين سيقابلونهم والمفاجآت التي تنتظرهم.

كانت "كاتي" تصغي بانتباه لحكاياتهم محاولة أن تنسى أن "بول" لم يعد إلى بيتها. وعندما أعلنت عقارب الساعة أنها العاشرة والنصف بدأ قلبها يضيق أمام فكرة أن طائرته تقلع الآن. في الساعة الحادية عشرة اتصلت بالمستشفى فأخبروها أن الأمهات مشغولات الآن بأطفالهن ولا يستطعن تلقي المكالمات وأن "آن" وطفلها بخير وسعادة.

في منتصف النهار أغلقت "كاتي" خزانتها وتمنت عيدا سعيدا لزبائنها. وعندما هدأت اعترفت بأنها تشعر بالتعاسة. ألقت بنفسها على مقعد بلا ظهر ونظرت إلى برطمان الحلوى الزجاجي فوجدت فيه "بونبون" أخضر ولكنها لم تقرر أن تأكل واحدة. لم تعد الأمور كما كانت من قبل لقد فقدت الرجل الذي أحبته وابتعد عنها بسرعة. إن كبرياءها وماضي "بول" كانا عقبة لن تتغلب عليهما.

فجأة رأته هناك.. داخل الحانوت. فتجمدت:

- هل فاتتك الطائرة؟

- لا.. ولكني أوشكت أن أفسد كل حياتي. عندما حدثتك عن "سارة" وعن زواجنا وموتها حذفت حقيقة...

لاحظت "كاتي" تغيرا في كيانه. كان صوته يرن بالأمل ونظراته تجذبها في حين يجب عليها أن تبتعد ، وعواطفه تشع من وجهه. وانطلقت من فمه الكلمات:

- يا حلوتي "كاتي".. يا حبي! لقد كنت متأكدا من أنك تعتقدين أن حبي لـ"سارة" وحزني على فقدها سيمنعانني من أن أحبك. في الحقيقة لم أكن أحب "سارة" وإنما كنت أشعر نحوها بالذنب .

- لم تكن تحبها؟!

- كانت "سارة" هي الوحيدة التي تعرف ذلك. وبعد موتها قلت الحقيقة لـ"ميليسا" و"چيمس".

- ومع ذلك تزوجتها؟!

- كانت حاملا. وكانت رائعة المسلك حتى إنني ظننت أنني أستطيع أن أحبها بعد الزواج بمرور الوقت وهو ما لم يحدث أبدا. لقد ماتت دون أن أحبها الأمر الذي صدمني حتى إني نسيت أهم شيء في حياتي.

- لست أفهم.

- أنا نفسي لا أفهم ذلك. لقد اعتقدت حقا أنني خنت "سارة" لأنني لم أستطع أن أحبها وبعد موتها اجتاحني إحساس أنني إذا لم أمنح أي امرأة أخرى حبي فإنني "لا أخدع "سارة". أعرف أنها حماقة ومع ذلك كان عقلي الباطن يقول العكس .

- "بول"...

- جئت أنت وأحسست نحوك بكل ما لم أحسه نحو "سارة" على الإطلاق. ولكن شعوري اللعين بالذنب كان يمنعني من أن أعترف بحبي لك.

غمرت الشابة سعادة لا شك فيها وفقدت القدرة على الكلام.

- أعرف يا "كاتي" أنني كنت أريدك كل الوقت بجواري وأن أسهر عليك وأن أقلق عليك عندما لا تكونين موجودة ومع ذلك لم أصدق المنطق والعقل اللذين يخبراني أنني أحبك. فسامحيني لأنني عذبتك.

- ليس هناك ما أسامحك عليه. أنا أحبك يا "بول". لقد كنت متهربة بسبب كبريائي الغبية .

- يا إلهي! أنا لم أعرف معنى السعادة قبل أن ألقاك.

- إنه عيد "الكريسماس".. وقت المعجزات.

غطى تعبير غريب وجه "بول" وندمت على كلامها. إن "الكريسماس" دافع للحزن لهذا الرجل. قال:

- ألم تلاحظي؟ إنها تمطر ثلوجا .

- ماذا؟

- إنها الثلوج.

قادها "بول" وقد غاضت ابتسامته نحو زجاج نافذة العرض. أخذت

"كاتي" وهي فاغرة فمها تتأمل القرية وقد غطتها طبقة رقيقة من رقائق الثلوج البيضاء التي أخذت تزداد سمكا. ابتسمت كالطفل وصفقت:

- إنها الثلوج يا "بول". يا للمعجزة! تعال لنخرج.

أخذت "كاتي" تفكر وهي تجري نحو الباب في المعجزات التي أخذت تتوالى تباعا على حياتها. أعمالها تسير بنجاح. إنها ليلة "الكريسماس" في "دلاس" والثلوج تغطي الأرض. و"بول" يحبها. دهشت عندما رأت السماء في الخارج صافية زرقاء. نظرت فيما حولها ووجدت ثلاث ماكينات ضخمة تضخ الثلوج لتغطي القرية بطبقة رقيقة. وخلقت جوا شتويا خرافيا.

كان الناس يخرجون من الحوانيت والآخرون يوقفون سياراتهم والأطفال سعداء وهم يتزحلقون فوق الأرض البيضاء وأخرج الناس كاميراتهم ليسجلوا هذا الحدث غير المتوقع.

رفعت "كاتي" عينيها نحو "بول" وقد جعلتهما دموع السعادة تشبهان الزمرد.

- عيد ميلاد سعيدا يا حبيبي.

تمت